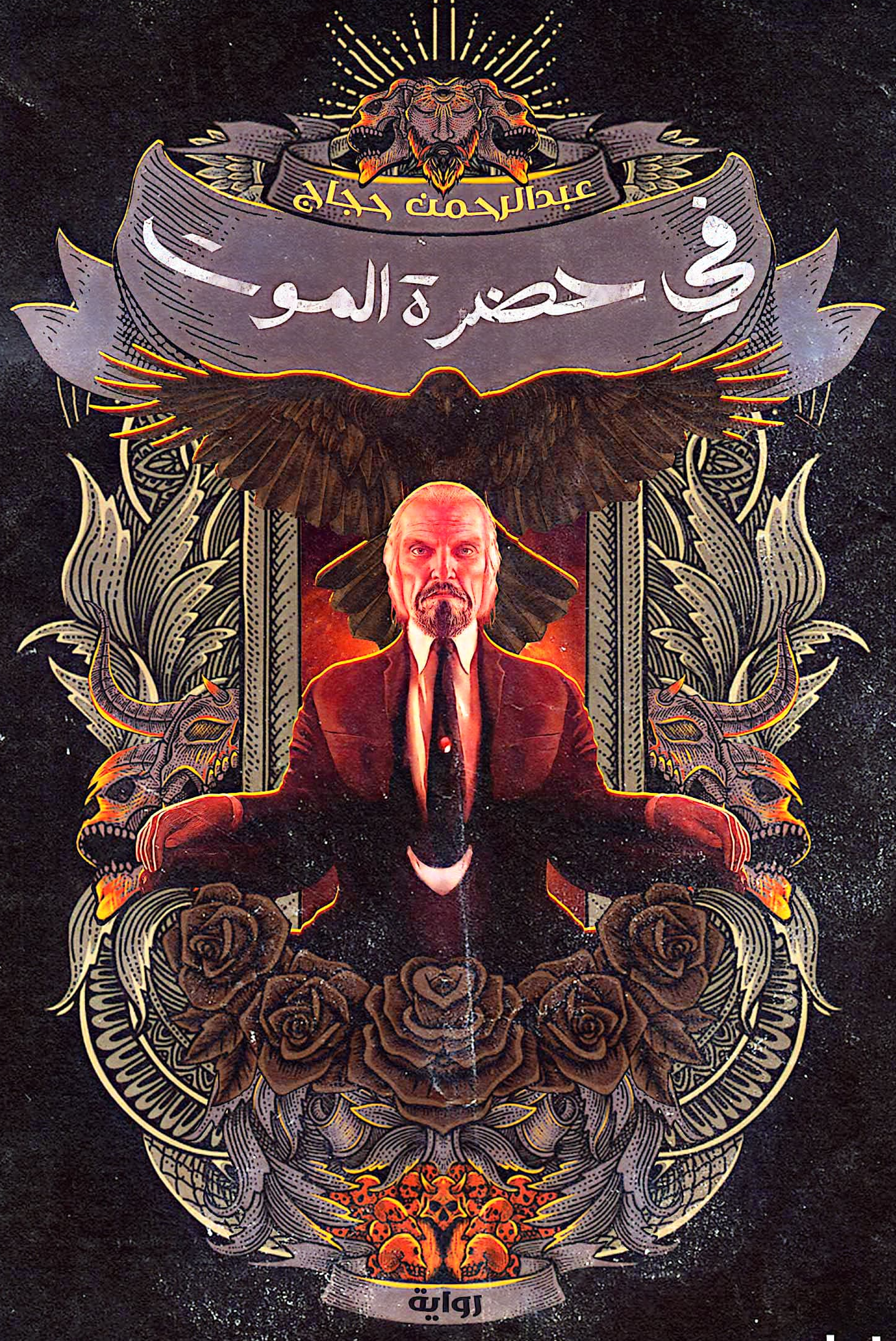


دار العليا/ دار الرسم بالكلمات

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب



هنالك مقابر وحيدة

مليئة بعظامٍ ليس لها صوت

يسيرُ القلبُ عبر أنفاقٍ عديدة

وفي داخلِه ظلماتٌ مديدة

والكل يذهب في النهاية..

ويبقى الموت.



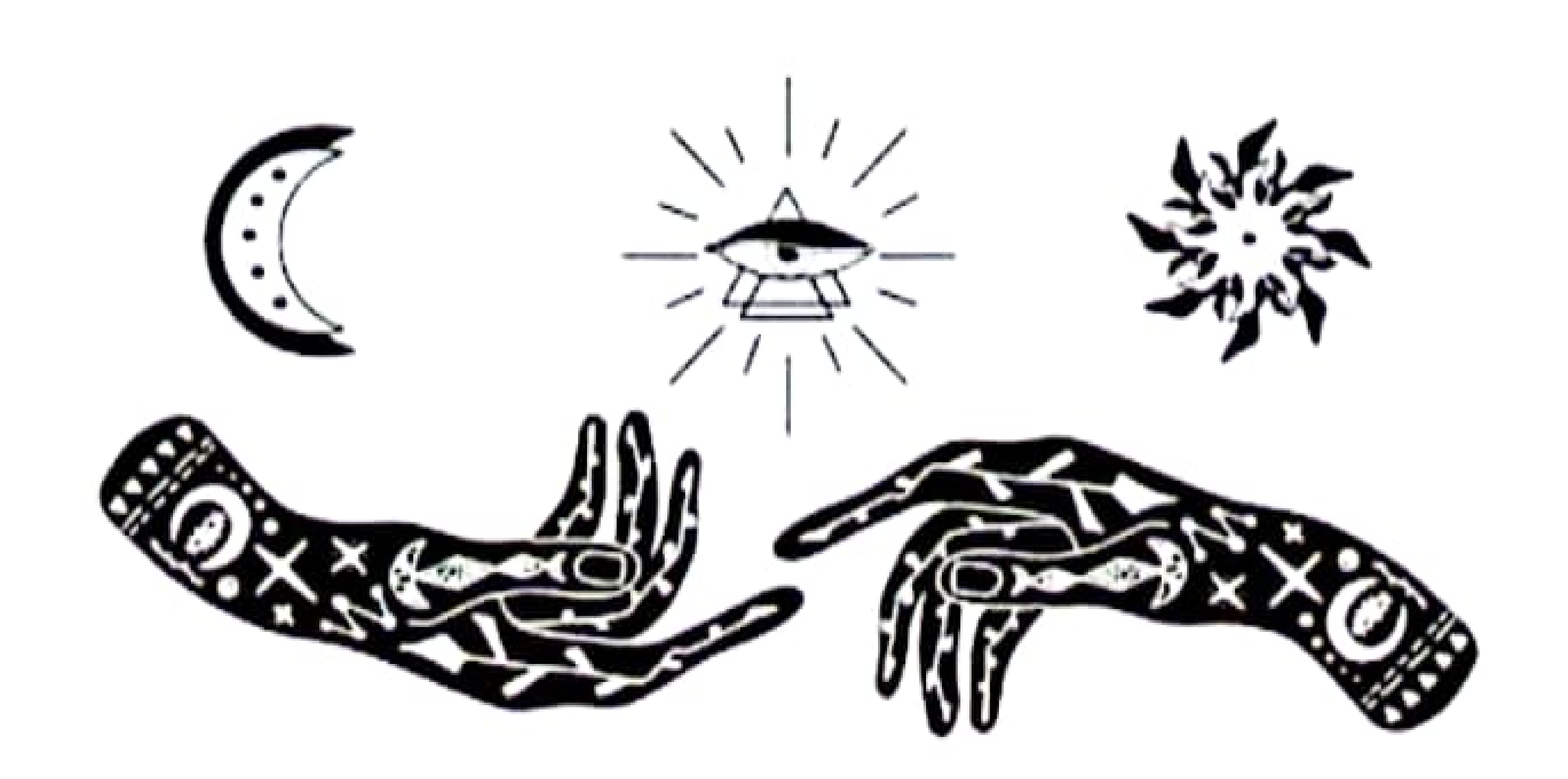
إهداء

إلى كل لحظات الخذلان وقلة الحيلة:

وحدها جعلتني أقوى.

وإلى لحظات خوفنا:

شكرًا لتذكيرنا بأننا ما زلنا بشرًا.

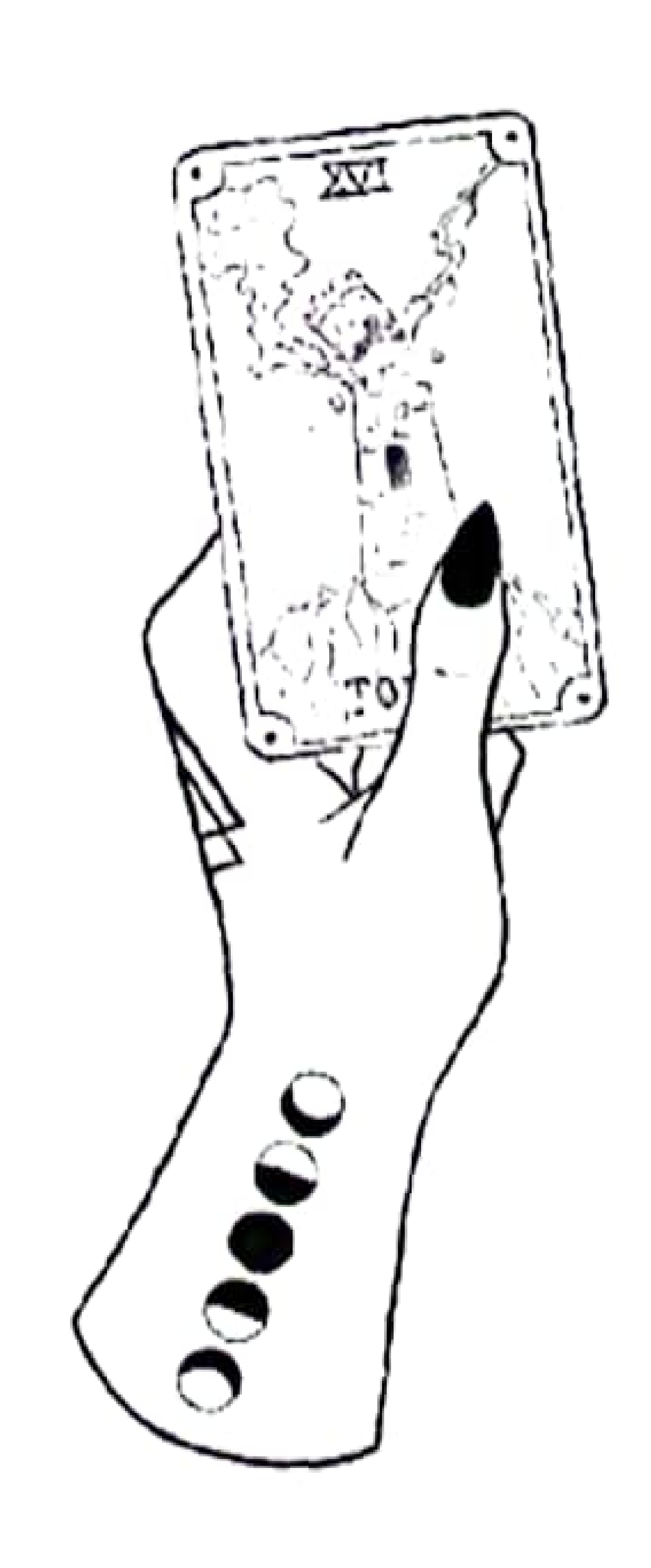




إهداء خاص

إلَيكم...

لا تموتُوا قَبل أن تحيَوا.





شكر خاص

شكرًا لكل الناس اللي شاركتني لحظات تحضيري للرواية,

لحظات استسلامي ولحظات غضبي.

الناس اللي بنظهر جوانبنا الضعيفة قدامهم,

هما لوحدهم اللي يستاهلوا قلوبنا بالكامل.

فإليكم قلبي وروايتي..

عبد الرحمن حجاج.





«في لحظاتِهم الأخيرة،

يُظهر لَك الأشخاص مَن هُم حقًا».

The joker - The dark knight



القاهرة - ٢٠٣٩ م..



كانت الغرفة الضخمة ذات الأثاث الباهظ غارقة في ظلامٍ دامس، باستثناء ضوء أصفر بائس منبعث بوَهن من هذا المصباح المهترئ في تلك الليلة المكفهرة. بعض الليالي تتشابه في ألوانها مع بعض قلوب البشر.

جلس هذا العجوز طريح الفراش يُحرك أصابعه في حركةٍ عجيبة، على الأغلب تحدث منه بشكلٍ لا إرادي، أو ربما بسبب فعل قديم أَرغم أصابعه على الحراك، وكأنها خلقت تمامًا لهذا. ملامحة تشير إلى كونه شخص منكود، لم تزر السعادة روحه منذ سنوات، يبلغ الثمانين من العمر على الأغلب. ربما أقل قليلًا أو أكثر قليلًا. إلا أنه يبدو كميت يجاهد ليظهر طبيعيًا في أرض الأحياء، لا تظهر عليه مظاهر الحياة سوى أنفاس تعلو وتهبط في رتابة، يبدو وكأنه خرج للتو من الجحيم، أو ذاهب إلى هناك بالقطار السريع.

جلس حول العجوز شخصان ضخام البنية، ينظران إليه في صمتٍ يشوبه القلق، الشخص الأول كان يُدخن بشراهة كمَن يغتصب سجائره المسكينة، والآخر كان ينظر من نافذة الغرفة المُطلة على شارع هادئ كبير خالٍ تمامًا من المارة والضوضاء. لم يبدُ على الاثنين اكتراثهم



لهذا الشاحب, والذي تشابه لون جلده مع لون ملاءة سريره العتيق الأبيض التي تزيّنت ببقع صفراء مجهولة المصدر. نظر الأخير نظرة طويلة من النافذة, والتفتَ بعدها إلى الآخرين, وقال وهو يسحب سيجارة من علبةِ رفيقِه:

- الشارع فاضي, وإحنا جاهزين على التنفيذ.

نظر إليه شريكه الأول, وقال بشيء من الاستياء:

- ما نرجع للمخبول دا فلوسه وفي داهية المصلحة بنت الوسخة دي.. أنا مش مرتاح!

- انت تعبان في دماغك يا عطار؟ الجدع اللي بتقول عليه مخبول دا هيدفع لنا خمسة مليون, يعني هنعيش ملوك ياض!

- يا عم دا عايزنا نشقه ونعبيه! ده مفكّر نفسه حاوي يا زميلي!

نظر إليهما العجوز خائر القوى بأعين فقدت القدرة على التعبير منذ زمن, إلا أن تلك النظرة كانت خير رسالة لهم في تلك اللحظة, رسالة تحمل في مضمونها أن يَخرسا ويُنفذا الأوامر ولا شيء آخر. بصعوبةٍ أشار العجوز إلى الرجل الأول أن يقترب منه ليسمعه, مدَّ الرجل رأسه الصلعاء وأُذنه المشعرة للعجوز الذي بدأ في الحديث بصوتٍ يشبه فحيح الأفعى, وبصعوبةٍ قال بكل حزم:

- اللي طلبتوه.. أخدتوه وشوية زيادة.. وقت الجد بتقلبوا عيال؟

- عيال مين يا باشا؟ انت شكلك مش عارف سمعتنا في السوق!

- لا, سمعتكم الوسخة عارفها كويس.. عشان كدا كلمتكم انتم بالذات.

- دا من ذوق معاليك يا باشا. طب نزود المبلغ حبتين طيب! أصل سعادتك برضك الطلب مش سهل, إحنا آه لينا في الشمال, بس لا مؤاخذة مش أقصاه.. يعني سرقة ونصب على بلطجة وعشان كمان



السين والجيم بعد الشر.

- لا هيبقى فيه لا سين ولا جيم ولا أي حرف تاني حتى.

أخرج العجوز من الكومودينو الخاص بفراشه دفتر شيكاته وبيد تتأرجح كتب للرجلين شيك جديد بمبلغ أكثر ضخامة عن سابقه, لتتَهلَّل أسارير الرجلين بمجرد رؤيتهم للرقم. قام الرجل الثاني من مكانه ووضع إلى جانب العجوز حقيبة امتلأت بأدوات جراحية قام بسرقتها منذ مدة من مستشفى تحت الإنشاء لينفذ بها تلك المهمة العجيبة. أمسك الرجل الآخر بذراع العجوز التي تشابَهت في حجمِها مع عود القصب, ليوصل بها إبرة صغيرة جعلته يفقد الوعي في لحظات, أما الآخر فأخرج من الحقيبة مشرطًا وبدأ في تمزيق معدة العجوز بثباتٍ شديد, ليبدأ بإفراغ محتويات المعدة بأكملها, وفور أن أصبحت المعدة أشبَه بحفرةٍ صنعها طفل في الخامسة على شاطئ البحر, أمسك الرجل الأول بصندوقٍ صغير أسود اللون وقام بوضعه داخل الجسد المجوف, ومِن ثَمَّ بدأ في حياكة جلد العجوز كمَن يربط رباط حذائه.

انتهى الرجلان سريعًا والعرقُ يتصبَّب منهما, ينظران كل دقيقة حولهما في انتظار دخول أحد عليهما الشقة في توجس, ليقوما بعدها بلَملَمة أشيائهم ومسح الدماء المتناثرة على الفراش, واتجهوا بجسد العجوز في سيارتهم إلى منطقة كورنيش المعادي حيث كان في انتظارهم شابٌ بمركب شراعي, استقلوا مركبَه وبعد أن أصبحوا بعيدين تمامًا عن الشاطئ, ألقوا بالعجوز في الماء ليستقر جسده البالي في قاع النيل وبداخله صندوق أسود صغير لم يفهم الرجلين ماهيته أبدًا, إلّا أنهم لم يهتموا سوى بالمبلغ الذي حصلوا عليه من هذا المخبول.



سيوة - ٣٤٠ ق.م..



دلف الكاهن الأكبر إلى معبد التنبؤات وهو يصيح غاضبًا يطلب حضور جميع الكهنة إلى حجرته على الفور معلنًا حالة الطوارئ, صوته يهز أرجاء المعبد كزلزال من الدرجة العاشرة, صلعته تحولت إلى كرة حمراء اللون من شدة الغضب, حتى شعر كل مَن في المعبد أن رأسه على وشك الانفجار, أَجلَس الجميع بنظراتِه الحانقة وقال بصوتٍ عالٍ ارتجَّت لأجله جدران المعبد في رعب:

- عدد الأموات يزداد يومًا بعد يوم لسببٍ لا نعلمه, نحن لا نُعاني من أي وباء, منذ أعوام والطب في ازدهار, هناك سبب وراء ما يحدث؟ أريد إجابة الآن وإلّا سيكون العقاب وخيمًا على الجميع!

لم ينبس أحدهم ببِنت شفة لثوانٍ, حتى قام واحد من شباب الكهنة يرفع يده على استحياء, فدعاه الكاهن الأكبر للوقوف:

- من أنت يا فتى؟

- أُدعَى (رام) يا مولاي الكاهن الأكبر.

- وماذا تعرف عن أحداث الموت المتكررة؟

- إنه.. إنه أبي اللهيم يا مولاي.



سكت الكاهن للحظات يحاول أن يتذكر إن كان قد سمع عن هذا الاسم من قبل, يبدو مألوفًا إلا أنه لم يصل إلى شيء, فسأل الشاب مرة أخرى:

- ومَن يكون أبي اللهيم هذا يا رام؟ وما دليلك؟

- لا أمتلك الدليل القاطع بعد, ولكنني سمعت من المدن المجاورة أخبارًا عن ساحر يُسمى بأبي اللهيم, يفهم كثيرًا في أمور السحر الأسود, يسحر الناس بالملك والكنوز, وبعدما يتبعونه يقضي عليهم يا مولاي.

- يتبعونه ويقضي عليهم؟ ألا ترى في ذلك شيئًا من الغرابة؟

- إنه يُقدّمهم كأُضحية يا مولاي, أُضحية لإله الموت نفسه.. أنوبيس.

سكت الكاهن الأكبر للحظات مفكرًا, إلا أنه لم يقل شيئًا, واكتفى بالتلويح للشاب. اقترب الشاب من الكاهن في تضرع ليقبل يده, مد الكاهن يمينه في تبجيل ليبتسم له رام ويخرج من أسفل حزامه خنجرًا صغيرًا قَطع به رقبه الكاهن الذي سقط كالشاة المذبوحة وسط صراخ كل مَن في المعبد, والذين بدأوا في الركض وهم يتضرعون بأعلى صوتهم:

- ارحمنا يا أنوبيس! يا إله الموت.. يا سيد المقابر وملك العالم الآخر..

خرج رام من المعبد مبتسمًا في انتصار, وفور أن ابتعد تمامًا عن الجميع أخرج من أسفل ملابسه علبة سوداء صغيرة احتوت على أوراقٍ غريبة, تحمل صورًا غريبة, بعضها لجماجم وبعضها لقطط, وأخرى تحمل شمسًا وقلبًا وثعبانًا, وبعضها يحمل صورًا لخنجر وشياطين, والمشترك بينهم كان منظرهم البشع الذي يبث الرعب في النفوس.



القاهرة - ٢٠٤٠ م..



الوجوه دومًا ضاحكة في مدينة الملاهي, ربما لكونه المكان الأمثل للحصول على جرعات ممتعة من الأدرينالين, الكل في حالة مزاجية جميلة إلا هذا الشاب الذي دخل الملاهي منذ دقائق قليلة, دلَف إلى الملاهي بعدما ابتاع تذكرته وحيدًا, بعدها مشى بخطوات مُهتزة حتى وصل إلى قطار الموت, وقف في الطابور صامتًا لا يلتفت يمينًا أو يسارًا, إلّا أن ارتعاش جسده كان له رأي آخر في اهتزاز مفاصله, وفور أن وصل إلى آخر الطابور استقلَّ مقعده, وفي خلال ثوانٍ كان القطار يعتلي قضبانه العالية ليصبح وجهًا لوجه مع السماء. وفقط, حينما وصل القطار إلى أعلى نقطة قد يصل إليها, فتح الشاب حزام الأمان لمقعده ورمى نفسه وسط صرخات المتابعين المذعورين وغير المصدقين لما يحدث, وبعد ثوانٍ قليلة ارتطم جسده بالأرض. هرول الجميع لمكان السقوط ليروا مشهدًا بشعًا أثار الرعب في قلوبهم, وجدوا رأسه وقد انفصلت عن جسده والدماء تغرق كل جزء منه, وفي يده اليمنى حمل بين أصابعه ورقةً سوداء تشبه ورقة (الكوتشينة), إلا أنه منقوش عليها رسم غريب لم يظهر منه أي شيء بوضوح بسبب امتزاجها بالدم.

بدأ البعض في البحث عن مساعدة, والبعض الآخر يحاول أن



يتواصل مع الإسعاف, وآخرون خرجوا من المكان مرتعدين, الجميع في الملاهي تملّك الرعب من أرواحهم وملامحهم, إلا أن في الجهة المقابلة وقف شخصٌ يرتدي معطفًا أسود يراقب كل ما حدث من خلال عدسة كاميرته, وفور أن تأكد من موت الشاب تنهّد بارتياح, ليقترب بعدها من مسرح الجريمة, التقط الورقة من الأرض في خفة يد, وترك المكان وهو يتناول غزل البنات في تلذذ.



الإسكندرية – ١٩٨٨ م..



وقف زياد متحمسًا ورأسه مدفون بين يديه مستندًا على شجرةٍ ضخمة داخل أحد النوادي الرياضية بالإسكندرية, وبعلو صوته بدأ في الصياح:

- خلاويص؟

إلا أنه لم يجد إجابة من أحد, الجميع كان منهمكًا في الاختباء, (سلمى) و(فيروز) اختبأتا سويًا أسفل كومة ضخمة من القش وهما تضحكان بصوت خفيض. (أيوب) قرر ببساطة أن يظل بالقرب من شجرة زياد كي يهرب سريعًا إلى (الأومة), كعادته يختبئ في المكان الآمن, وكعادته يخشى المواجهة. (نصر) قرر عدم الاختباء كي يشاهد الجميع سرعته, يعشق نصر الضحك ويحب الحياة كثيرًا. (أكرم) ظل يفكر كثيرًا في المكان الأمثل للاختباء, إلا أنه لم يصل لمكان مناسب, فاكتفى بالاختباء خلف إحدى الشجيرات, طبعه الهادئ خيم على طريقة لعبه, (عبد التواب) قام بالاختباء داخل غرفة تغيير الملابس رغم كونها خارج نطاق لعبهم. أما (ضياء) فظل يركض بعيدًا قدر المستطاع عن زياد الذي كرر ندائه:

- خلاويص؟



فأتاه صوت من بعيد يقول ضاحكًا:

- لسه!

فأكمل نداءه في تحدٍ وهو يحاول تحديد مصدر الصوت:

- أجيب البوليس؟

- لسه!

ولمدة ساعة بأكملها كان الدور لا زال قائمًا بين صياح وضحك, والذي انتهى بالإمساك بهم جميعا, إلا عبدالتواب الذي فضّل أن يغش على أن يخسر, تلك هي عادة عبد التواب دومًا في كل لعبة يلعبونها, إذا شعر بخسارةٍ قريبة فضّل عنها الغش والخداع. فور أن وجده زياد خارجًا من غرفة تغيير الملابس اقترب منه غاضبًا وهو يدفعه:

- انت مش هتبطل حركاتك دي؟ هي دي القوانين؟

- مالك كبرت الموضوع كدا ليه! أنا كنت بختبر شطارتك في اللعب.

- تصدق إنك عيّل يا عبد التواب, وعمرك ما هتكبر.. أنا مروّح.

حاولت سلمى أن تمنعه من الرحيل, إلا أنه لم يهتم سوى بشعوره بأنه تم خداعه, نظر ضياء إلى عبد التواب وقال:

- شوفت زعلته إزاي؟ انت عارف إن زياد بياخد كل حاجة جد, حتى اللعب!

- كل واحد يلعب بالطريقة اللي تعجبه.. هو اللي عيّل وبيزعل.

- والله واحد فيكم هيموّت التاني في مرة بسبب اللعب دا!



أكادير - المغرب - ١٩٧٧ م..



كعادته، في أي رحلة له خارج البلاد، يسرق أباظة باشا من جدوله المزدحم يومًا واحدًا ليتفقد الشوارع والأسواق، وبالطبع محلات الأنتيكات لحرصه الدائم على اقتناء تذكار من كل بلد يزورها لتصبح جزءًا من رف السفريات الخاص به، والذي يعتز به اعتزازًا كبيرًا. منزله في القاهرة أصبح مع مرور السنوات أشبَه بمتحفٍ كبير يضم مقتنيات من جميع أنحاء العالم، عمله كطبيب مُحنك في مجال الأعصاب جعل رحلاته حول العالم لا تنتهي، فهو يتجول بين بلاد العالم كمَن يتجول في حديقة بيته.

كان هذا الصباح هو يومه الأخير في المغرب، وتحديدًا في مدينة أكادير، والتي اعتبرها أباظة واحدة من أكثر رحلاته مَللًا على الإطلاق رغم إعجابه بجمال تلك البلاد. ساعات قضاها بين شوارعها يتأمل الحدائق والمتنزهات وهو يدخن في عدم اكتراث، حتى استوقفته أخيرًا ضالته المنشودة، محل صغير كُتِب عليه بلغةٍ لم يألفها. إلا أن فاترينة المحل التي ضمت قطعًا تذكارية من سجاجيد وفوانيس جعلته يشعر بأن الحظ ابتسم له أخيرًا، وأنه سيجد في هذا المحل ما يريد من تذكار ليعود بعدها إلى فندقه ومِن ثَمَّ إلى المطار .



كان المحل من الداخل مخيفًا بعض الشيء, يسلب منك الشعور بالراحة بمجرد دخولك, أشبَه بمقر للشعوذة والسحر الأسود؛ حيوانات مُحنطة وجماجم متناثرة, تراصَّت بضاعة المحل على رفوف متجاورة وبدأ أباظة رحلته في البحث عما يريد, كانت جماجم القِردة هي العنصر الأكثر انتشارًا هناك, بالإضافة إلى عرائس أطفال غير مناسبة تمامًا للأطفال, وغيرها من الأشياء العجيبة والتقليدية أيضًا, مثل السجاد المغربي والجلود. بعد دقائق من البحث شعر أباظة بخيبة أمل كبيرة وهَمَّ بالرحيل, حتى استوقفه صوت ناعم يأتي من داخل دهاليز المحل يقول بلهجةٍ مصرية بدت ضعيفة:

- مش لاقي اللي بتدور عليه؟!

كان الصوت لسيدة مغربية في عقدها الخامس, يكسو شعرها اللون الأحمر, ترتدي رداء القفطان المغربي وفي يدها عصًا خشبية أضافت لهيئتها بُعدًا دراميًا.

- وكمان لحقتِ تعرفي إني مصري؟!

- أنا بشِم زبايني.. أعرف من بعيد الزبون دا عربي ولا أجنبي, ولو عربي جاي منين.

- على كدا حضرتك بتتكلمي لغات كتير؟

- عربي وإنجليزي وأمازيغي وفرنسي.. أنا بتكلم لغات كتير.

- بس حضرتك عرفتِ منين إني مصري برضو؟!

قالها أباظة للسيدة المغربية بشيء من التعجب.

- أعرف حاجات كتير.. قولي بتدوّر على إيه؟

- لو بتعرفي حاجات كتير يبقى قوليلي أنا بدور على إيه..

- مصري ذكي.. بتدوّر على حاجة نادرة.. واش ممكن نساعدك؟



- أنا بدور على اللي مش عند حد.. القيمة في التفرد.

- الساعة اللي في إيدك وريحتك بيقولوا عنك حاجات كتير.

- خلينا نشوف هتبهريني إزاي!

هزّت رأسها بابتسامة كشفت عن أسنانٍ ذهبية زادت من هيئتها غرابة, وأشارت له بأن يتبعها للجزء الخلفي للمحل.

انفرجت أساريره عندما رأى هذا الجانب المختلف تمامًا والذي امتلأ بالكثير من التحف التي بدت كآثار قديمة, أول شيء استوقفه كان تمثالًا لفيل أسود يحمل فوق خرطومه قطعًا من الأحجار الكريمة, فبدأ في تفحصه. ساعة كاملة مرَّت في محل السيدة العجوز وهو يختار الكثير من الهدايا, وفور أن انتهى وهمَّ بالرحيل وفي يده حقيبة كبيرة من الهدايا, أمسكت بصندوقٍ أسود نقشت عليه بعض النقوش الغريبة والرسومات, وقالت:

- دي هدية ليك..

- شكل الصندوق رائع فعلًا! دا صندوق مجوهرات؟

- دي لعبة قديمة.. هبقى سعيدة لو هديتها ليك.

فتحت السيدة الصندوق الأسود الصغير لتُفرغ محتوياته لأباظة الذي بدا شاردًا وغير مهتم, إلا أنها أصرَّت لسببٍ ما على أن تشرح له بشكلٍ مُفصَّل أكثر, فما كان إلا أنه جلس ليستمع لها واضعًا يده أسفل ذقنه الحليق.

- اللعبة فيها ٤٠ كارت, الأربعين مقسمين لخمسة أنواع كروت..

وبدأت في إخراج الأوراق أمام عينه لتُريه الرسومات التي نقشت عليها:

- أول كارت هو كارت الحقيقة, ومرسوم عليه السيف, التاني كارت



الحظ ورمزه الأجنحة, والتالت كارت المصير وعليه الثعبان, والكارت الرابع المواجهة ورمزه الملك, والكارت الأخير هو الحكم ورمزه الميزان, ومع اللعب احتمال شكل الكروت يتغير حسب قوته أو قوة الفعل.. اللعبة دي بـ...

- أشكرك جدًا على الهدية الجميلة دي!

قاطعها وهو يبتسم لها بعدم اكتراث, هو فقط يتمنى أن يعود ليُلملم حقيبته ليعود إلى مصر, ربما كل ما أثار تعجبه هو أن اللعبة تبدو عربية, حتى الحروف التي نقشت عليها يبدو أن أصلها عربي, إلا أنه لم يكن يفكر سوى باللحظة التي سيعود فيها إلى بيته ليضع تلك التحف مع باقي ممتلكاته الثمينة. استقلَّ سيارة كانت في انتظاره, وبينما كانت السيارة ترحل لتغيب عن الأنظار, تنهدت السيدة بارتياح وعادت لمتجرها مرة أخرى.

عاد أباظة إلى مصر, ووضع مقتنيات الرحلة على رفوف تذكاراته واستأنف حياته مرة أخرى بين عيادته ورحلاته, ونسي تمامًا أمر الصندوق الذي أهدته إياه السيدة المغربية ذات الأسنان الذهبية. لم يكن عند أباظة أدنى فكرة بأن صندوقه هذا سيغير حياة أشخاص كثيرين بعد عدة سنوات.



الإسكندرية – ١٩٩١..



يعشق عبد التواب البهرجة, يحاول بشتى الطرق أن يحيط نفسه ببريق كاذب يجعله يشعر بأهمية لا أساس لها, لا يتعامل مع حفلات ميلاده على أنها مناسبة طبيعية ستمر مرور الكرام, أو مجرد ليلة لمشاركة اللحظات السعيدة مع الأصدقاء. حفلة عيد ميلاد عبد التواب لا بد وأن يتخللها فقرة ما حتى يظل الجميع يحكي ويتحاكى عنها, منذ عامين أحضر مطربًا شهيرًا ليحيي الحفل بمنزله وسط انبهار الجميع, وفي العام الماضي قام بإضرام النيران في الباحة الخلفية من منزله لإقامة حفل شواء للحي بأكمله, الأمر الذي كاد يتسبَّب في حريق للفيلا كلها إلا أن العائلة والتي ساهمت في خلق شاب مستهتر لم يكترثوا لأحد.

هذا العام, قرر أن يفعل شيئًا مختلفًا, منذ عدة أسابيع كان يسرق بعض السيجار من مكتب والده بالدور الأخير من الفيلا, حتى وقع أمامه صندوقًا في رف الهدايا الخاص بوالده, لم يكن قد شاهده من قبل, صندوق قديم رسم عليه الكثير من العلامات والحروف الغريبة, أمسك عبد التواب بالصندوق وحاول أن يأخذه خلسة إلى غرفته إلا أن أباظة استوقفه وقال له باحتدام:



- بتعمل إيه؟

- ولا حاجة يا بابا.. كنت بشوف العلبة دي بس..

- انت عارف كويس إن مش مسموح لحد يدخل مكتبي، وبعدين وريني إيه اللي في جيبك دا!

أخرج عبد التواب السيجار الذي قام بسرقته منذ دقائق من جيبه على استحياء، إلا أنه تفاجأ برد فعل الأب الذي قال مبتسمًا:

- كبرت وبقيت بتسرق سجاير؟ أنا هعديها بس عشان عيد ميلادك وبالنسبة للعلبة فاعتبرها هدية مني ليك.. دي لعبة جبتها من المغرب، جربها مع صحابك لو حبيت..

- شكرًا يا أحلى بابا في الدنيا دي كلها.

احتضن عبد التواب والده وأخذ السيجار واللعبة إلى غرفته ليكتشف أن هذا الصندوق يحمل بداخله لعبة جماعية أشبه في هيئتها الأولية بلعبة (المونوبلي)، إلا أن تفاصيلها وألوانها كانت قاتمة ومخيفة، لعبة لم يكن قد شاهدها أو سمع عنها من قبل. بداخل الصندوق وجد ورقة مطوية شديدة القِدم حملت بعض الجمل المكتوبة بخط غريب يبدو عربيًا، إلا أن الكلمات كانت مبهمة بالنسبة له، دلف عبد التواب إلى مكتبة والده، وبدأ البحث بداخل كل القواميس عمّا هي تلك اللغة ليترجم محتوى الورقة قبل موعد عيد ميلاده، حتى تكون تلك اللعبة هي الحدث لتلك الليلة المنتظرة.

أيام مرت حتى جاء اليوم الموعود، يوم عيد الميلاد، والذي كان كعادته يتّسم بالمبالغة في كل شيء، بدايةً من الطعام والذي تم إحضاره كله من مطعم (تريانون)، وصولًا إلى عازف البيانو الشهير الذي جاء خصيصًا ليعزف بضعة مقطوعات لأكابر العائلة والأصدقاء.

انهمك نصر بالطعام، صديقه الأقرب ولم يمنع نفسه من إخفاء



بعض الحلوى في جيوبه, زياد وسلمى كانا في عالم آخر سويًا يتبادلان نظرات الحب ويختلس هو قُبلة سريعة على خديها إذا سمح التوقيت, أيوب كان يجلس وحيدًا طول الوقت يراقب الجميع في فضول, أما ضياء وأكرم فظلوا يلعبوا أدوارًا عديدة من الشطرنج غير مكترثين لتفاصيل الحفل.

كان عبد التواب يتحرك كالنحلة حول الجميع, يضحك مع هذا ويرقص قليلًا مع فيروز ويسخف على زياد وسلمى بأسلوبه الطفولي الساذج.

انتهت ساعات الليلة سريعًا ورحل الجميع إلا الشلة الأقرب لعبد التواب, أصدقاء الطفولة الذي لم يتغيروا مع مرور السنوات, وهم أكرم, الشهير بالفنان, لولعِه بالتمثيل وعشقه الدائم لتقليد الجميع. ضياء وهو الشخص الأكثر رزانة وعقلانية في المجموعة والذي يلجأ له الجميع في حل المشاكل. زياد أو كما يسميه الجميع بزياد بك لهيئته التي تدل على أصل أرستقراطي ووسامته الشديدة. نصر وهو مهرج الشلة, شاب دائم الابتسام ولا يفعل شيئًا تقريبًا سوى إطلاق النكات. أيوب, أو (يوبا) كما يطلقون عليه, وهو شاب هادئ لا يثير المتاعب أبدًا. سلمى الفتاة الأجمل بين جميع صديقات عبد التواب وحبيبة زياد, والتي بدأت قصة حبهم منذ عدة سنوات وفيروز الفتاة الشقية التي يحب الجميع صحبتها لجرأتها وحبها لكل ما يحبه الشباب, بداية من شرب السجائر وحتى لعب كرة القدم في الشارع.

كان الصمت يخيم على أرجاء الغرفة, لا يقطعه سوى صوت حميد الشاعري المنبعث من كاسيت عبد التواب الباناسونيك, فحاول أيوب أن يفتح أي موضوع قائلًا:

- من يومين, روحت السينما أنا وأكرم وشوفنا حتة فيلم.. خطير!

- فيلم إيه؟



- شمس الزناتي بتاع عادل إمام, والله الفيلم فكرني بيكم, كان بيجمع فرقة من صحاب زمان.

- من يومك وانت مجنون بالسينما يا يوبا, بكرة أشوفك مخرج قد الدنيا وتعمل أفلام للواد أكرم اللي تعبنا بتمثيله دا.

قام أكرم من مكانه وهو يقلد تعبيرات وجه عادل إمام وسط ضحكات الأصدقاء, إلا أن عبد التواب كان يريد شيئًا آخر, فقال للجميع:

- تيجوا نلعب لعبة؟

قالها عبد التواب بعينٍ لامعة يتطاير منها الحماس, فأجابه زياد بفضول:

- لعبة إيه؟!

- بقالي كذا يوم بدور على حاجة جديدة نلعبها لحد ما وقعت قدامي اللعبة دي.

سأل ضياء ببعض الفضول والاهتمام:

- لعبة إيه دي؟

- اسمها (أرا).. من كام يوم كنت بفتش في مكتب بابا وبسرق من عنده سيجار لحد ما وقعت قدامي اللعبة دي..

- ايه أرا دا؟

- أرا.. المكتوب.

وأفرغ محتويات العلبة أمامهم, والتي كانت تحتوي على لوحة من الكرتون, بعض ورق اللعب والذي يتشابه مع حجم ورق الكوتشينة, بالإضافة إلى بعض القطع التي يستخدمها اللاعبين في التحرك, كانت أشكال تلك القطع مقبضة وغريبة بعض الشيء, أكمل عبد



التواب وقال:

- اللعبة دي قديمة جدًا زي ما هو باين كدا, يمكن أول مرة أشوف بورد جيم قديمة بالشكل دا, أعتقد إن تاريخها مغربي أو حتى من البلاد اللي اتشهرت بالسحر الأسود زمان, عشان بعد ما دورت كتير اكتشفت إن اللغة اللي مكتوب بيها اللعبة دي لغة الأمازيغي.

زفر زياد بنفاد صبر وقال:

- يعني إيه برضو اللعبة يا أباظة؟ ما تفهمنا يا أخي! وإيه الأمازيغي دي؟

- اللعبة دي مسحورة, أو دا اللي مكتوب يعني, بيلعبها من اتنين لـ٨ لاعبين, ولو لعبناها إحنا الـ٨ كل واحد هياخد في إيده خمس كروت, كارت من كل تصنيف.. والأمازيغي دي لغة قديمة يا أبو العريف.

- وإيه التصنيفات اللي في الكروت يا ساحر؟

قالتها سلمى ضاحكة، شعر عبد التواب ببعض الضيق من سخرية سلمى إلا أنه أكمل في الشرح:

- الكروت متقسمة لخمس تصنيفات, الحقيقة, الحكم, المواجهة, الحظ والمصير, كل واحد مننا بيعدي على المراحل دي في كل دور وبيسحب كارت من الخمس تصنيفات, ولازم يحل أو يجاوب أو ينفذ عشان يوصل للنقطة اللي في نص اللوحة ويكسب, وطبعًا اللعبة ليها قوانين ..

- قبل بس ما نعرف القوانين, قولنا معنى الخمس تصنيفات دول, ولا عايز تكسب انت ؟

- أنا بلعب لأول مرة زيكم, واللي فهمته إن كارت الحقيقة بيحطك في اختبار مع الناس اللي بتلعب معاهم, زي اختبار ثقة والحكم بيبقى



حكم بيتحكم عليك من اللعبة، المواجهة بتخليك تواجه أكتر حاجة بتخاف منها، الحظ بيديلك فرصة تبقى في مرحلة أعلى أو العكس، وكارت المصير بيحدد لك مصيرك أيًا كان هو إيه..

- والله أنا شايف إننا نلعب بولة استيميشن ولا ننزل الشارع نشرب لنا سيجارتين بدل اللعبة التعيسة دي..

- انت خايف تلعب ولا إيه؟

- ومن امتى بخاف؟

وضع عبد التواب أمامهم علبة أخرى كان قد جمع بداخلها قطع اللعب وقال:

- كل واحد هيمد إيده في العلبة دي وهيطلع له مجسم للقطعة اللي هيبقى بيحركها في دوره، زي بالظبط القطع بتاعة المونوبلي اللي على شكل عربية أو كلب، مين يحب يبدأ؟

- وليه ما تطلعش كل القطع وكل واحد يختار الشكل اللي يعجبه؟

- أنا بنفذ قوانين اللعبة، ومن قوانينها إن كل واحد بيختار بالشكل دا عشان كل واحد بيبقى له نصيب من قطعته.

تجاهل الجميع جملته، ووضع زياد يده في العلبة وأخرج منها قطعة معدنية على هيئة ذئب، فشعر للحظات بالفخر من اختياره. القطعة الثانية كانت من نصيب أيوب والذي حصل على قطعة تحمل شكل التاج. وضع ضياء يده وأخرج قطعة على شكل غراب. سلمى حصلت على قلب مقسوم لنصفين. عبد التواب أخرج من العلبة قطعة على هيئة خنزير بري. وأكرم حصل على قطة. أما فيروز فقد حصلت على قطعة الساحر. ونصر كان نصيبة قطعة على هيئة سيدة عجوز. فور أن حصل الجميع على كل قطعهم بدأ عبد التواب في قراءة قوانين اللعبة بصوتٍ مسموع للجميع وهم يستمعون له في اهتمام:



- القانون الأول: الانسحاب من اللعبة بمثابة إنهاء لحياة اللاعب.

القانون الثاني: يسمح بتأجيل الدور لوقتٍ آخر.. ويسمح بالتأجيل مرة واحدة فقط.

القانون الثالث: ما تفعله باللعبة يحدث لك.

القانون الرابع: الفائز هو مَن يتفوق على اللعبة في أدواره الخمسة.

القانون الخامس: لا يمكنك الهروب من ورقتك.

القانون السادس: الأوراق تعكس ما تفهم.

القانون السابع: لكل لاعب نصيب من قطعته.

القانون الثامن: القطعة هي من تختار صاحبها, لا تنظر داخل علبة القطع.

ثم أكمل وهو يمسك بطرف الورقة:

- فيه قانون تاسع بس الورقة متبهدلة ومش باينة بس أعتقد إن كدا كل حاجة واضحة للجميع, ولا إيه؟

- يلا يا سيدي..

قالها زياد بعدم مبالاة .

كانت ملامحهم مزيجًا من القلق وعدم الفهم, هو حفل عيد ميلاد صديقهم فما كان غير الانصياع لطلبه حالًا, الكل يراها كتجربة ستنتهي سريعًا ويعود بعدها كل واحد منهم إلى حياته الطبيعية, أو هكذا كانوا يظنون. جلسوا هم الثمانية في دائرة متربعين على الأرض, وفي نصف الدائرة استقرت اللعبة, حتى تطوع أيوب قائلًا في توتر واضح:

- أنا ممكن أبدأ!



وسحب من أمامه أول ورقة، والتي حملت كلمة "مصير"، وحملت رسمًا يشبه الجمجمة البشرية وبأسفلها مكتوب: «مُلك لن يدوم طويلًا». لم يفهم معنى الرسالة، وفقط قام بتحريك قطعته خطوة إلى الأمام.

- هو الموضوع بالسهولة دي؟ انت حسستني إننا رايحين نحارب!

قالها زياد باستهزاء، ثم انتبه لشيء آخر، فقال متسائلًا:

- هو إزاي الكلام اللي على الورقة ظاهر بالعربي رغم إن اللعبة أمازيغي؟

- انت ناسي إن ورقة القوانين بتقول إن اللعبة بتعكس اللي بنفهمه؟ أعتقد كل واحد بيشوف اللعبة باللغة بتاعته.

تلاه في الدور عبد التواب، والذي كان من نصيبه ورقة "الحكم"، والتي كتب عليها بخط أحمر: «اختر لاعبًا وقم بقطع خنصر يده اليسرى».

سكت الجميع للحظات منتظرين أن يعلن عبد التواب أن كل ما يحدث مجرد خدعة ستنتهي الآن. ضحك عبد التواب وقرر ألا يبالي للحكم ويحرك قطعته إلى الخانة التالية، إلا أنه بمجرد ملامسته لها شعر بأن يده قاربت على الاحتراق، فانتفضت سلمى من مكانها وصرخت فيروز صرخة مكتومة وهم يشاهدون إصبع صديقهم يتحول لونه إلى الأسود، فنظر إليهم وقال متألمًا:

- القوانين بتقول إني ما ينفعش أهرب من الورق، إحنا لازم ننفذ الحكم!

قام أيوب من مكانه وهو يلهث من الخوف وقال بصوت عالٍ:

- إيه الجنان دا! أنا مش لاعب.. أنا مروّح البيت.

- اهدا يا أيوب واقعد!



- أنا واحد جبان، لا ليه في أحكام ولا غيره. بعد إذنكم.. وكل سنة وانت طيب يا عبد التواب.

- يا أيوب اقعد وهنلاقي حل!

إلا أن أيوب دفعه بقوة، وقبل أن يأخذ خطوة واحدة إلى الأمام سقط على الأرض كمَن تم جذبه من الخلف، بدأ جسده بالارتجاف لثوانٍ حتى هدأت أوصاله ليصبح في خبر كان، مجرد جثة هامدة لشاب في مقتبل حياته. اقتربوا جميعًا من أيوب، لا يعرفون ما يجب فعله الآن، كالمشلولين هم لا يَقوون على الحراك، ينظرون إلى جثةٍ كانت منذ ثوانٍ صديقًا وأخًا. بدأوا جميعهم في الهلع والصراخ، حتى صاح بهم ضياء قائلًا:

- اهدوا! اللعبة قالت إن الانسحاب بمثابة نهاية حياة اللاعب! لو حد مننا قام دلوقتي أو جري هيموت زي أيوب. خلونا نفكر هنعمل إيه! وقبل ما نعمل لازم عبد التواب ينفذ الحكم بدل ما هو كمان يموت!

- يموت زي أيوب؟ انت سامع نفسك بتقول إيه يا ضياء؟

قالتها فيروز وهي تصرخ ولكنه لم يجبها. أخذ نصر نفسًا عميقًا وهو يمد بيده إلى صديقه قائلًا:

- اقطع صباعي أنا يا عبد التواب.

تردد قليلًا قبل تنفيذه لقرار صديقه، إلا أنه وجد أن لا مفر سوى تنفيذ الأمر. قام عبد التواب من مكانه مترنحًا من الخوف وأحضر سكينًا من المطبخ، قام بإحضار زجاجة من الويسكي معه وبيدٍ مرتعشة بدأ في تقطيع إصبع صديقه الذي بدا متماسكًا رغم الألم، وفور أن انخلع الإصبع حتى قام بصب زجاجة الويسكي فوق الجرح، ظلوا جميعهم في حالة ثبات وعدم تصديق لتلك الليلة التي انقلبت جحيم في ثوانٍ قليلة. وقف زياد وقال:



- قانون اللعبة بيقول إننا ممكن نأجل الدور لوقت تاني, أنا هأجل!

- ما إحنا هنأجل وبعدين هنضطر نرجع نلعب تاني! ولو ما لعبناش هنموت! هنأجل لإمتى؟

سأل ضياء في توتر:

- إحنا لسه العمر قدامنا! نكمل حتى لو بعد ١٠ سنين!

- عشر سنين بس!

- نقول عشرين سنة؟

- ولا حتى عشرين تلاتين سنة نبقى عيشنا حياتنا.. وإحنا ونصيبنا وقتها!

- أنا موافق.

وبدأ الباقون الواحد تلو الآخر في ترديد جملة: «أنا كمان هأجل».

خرجوا جميعًا للحديقة الخلفية من القصر, والتي كانت أشبه بغابة كبيرة, غاب عبد التواب لدقائق حتى عاد وفي يده مجموعة من الفؤوس, بدأ الشباب في الحفر معًا والعرق يتصبب منهم من أثر الرعب, يدعون الله ألا يراهم أحد, يدعون الله ألا ينتهي مستقبلهم وهُم في مقتبل العمر لم يجربوا في الحياة شيئًا بعد.

طلب زياد من فيروز وسلمى أن يرحلوا وبدأ هو والباقون في دفن أيوب وهم ينظرون حولهم بين كل لحظة والأخرى, انتهى الأمر برمته في ساعتين تقريبًا ليخرجوا جميعًا من منزل عبد التواب أباظة والكل بداخله آملون أن ينسوا تلك الليلة وألا يتقابلوا هم السبعة مرة أخرى لآخر يوم في حياتهم حتى عن طريق المصادفة. كان الحظ حليفهم تلك الليلة لكون أيوب يتيم الأبوين, لن يهتم أحد بالاختفاء المفاجئ لهذا البائس, لن يهتم أحد بمعرفة سبب غياب أيوب عن حياتهم فجأة, سيغيب كمَن لم يظهر من الأساس وسينسى الجميع أن شخصًا يدعى



أيوب عاش بينهم يومًا, بل وربما يجد البعض في غيابه مكسب.

حاول عبد التواب كثيرًا بعد تلك الليلة أن يعتذر لأصدقائه, ولكن هيهات, توسل كثيرًا أن يجيبوه, توسل بأن يبدأوا حياة جديدة, إلا أنه لم يجد سوى الصد إجابة حتى انقطعت دائرة أصدقاء العمر والتي عاشت لسنوات طويلة. إلا سلمى التي شعرت تجاهه ببعض الشفقة وظلت على اتصال معه, تواسيه وتطمئن عليه بين الحين والآخر.

كان هذا العيد ميلاد هو الأخير قبل دخولهم الجامعة, قرروا جميعًا الابتعاد تمامًا عن الإسكندرية, فمنهم مَن اتجه إلى العاصمة, ومنهم مَن هاجر إلى الخارج, حتى زياد فقد أُصيب بصدمة بعد تلك الليلة وابتعد حتى عن سلمى حب حياته وعن الجميع. كل منهم قرر أن يبدأ حياةً جديدة لا يطغى عليها الذكريات أو اللعنات.

سنوات طويلة مرت على تلك الليلة الملعونة, كل واحد منهم أخذ طريقًا في الحياة, الجميع يهرب من صورة أيوب التي بداخله بكل الطرق, الجميع يتمنى لو تُعاد الليلة مرة أخرى ليرفضوا اللعب تمامًا, سنوات تمر ولا يبقى سوى النسيان, مَن قال أن الذكريات هي ما تبقى؟ حتى الذكريات ننساها ويتبقى من الأحداث مجرد طيف يحاول جاهدًا أن يبقى مشتعلًا حتى لو استمدَّ روحه من الألم.

سنوات طويلة مرت حتى أصبح عددها ثلاثين سنة.



باريس – فرنسا..



خرج زياد من حانة little red door الكامنة بشارع شارلوت, وهو يجاهد نفسه ليبقى على قدميه حتى وصوله لسيارته, يعلم جيدًا خطورة أن يقود وهو في تلك الحالة من السُكر, الأمر الذي قد يجعله يغترم آلاف اليوروهات إن تم الإمساك به, إلا أنه أصبح لا يبالي كثيرًا لأي شيء في الفترة الأخيرة, تمنى لو بقيت آثار الكحول بدمِه لأطول فترة ممكنة, إلا أنه استفاق بعد ثوانٍ قليلة عندما بدأت الأمطار في الهطول بلا تمهيد.

- Merde

قالها بفرنسية صحيحة وهو يسرع خطاه هاربًا إلى سيارته من المطر, وليكتمل النحس لهذا اليوم كان الإطار الخلفي للسيارة فارغ تمامًا, فما كان لزياد سوى أن يترك سيارته في مكانها ليستقل المترو. كان المترو شبه خالي في تلك الليلة الممطرة, كعادتها باريس جوزائية في مناخها حينما تقترب الشهور الثلاثة الأخيرة من العام, متقلبة كتلك الأيام التي تفرحنا وترهقنا في آنٍ واحد. تحسس محتويات حقيبته وابتسم عندما وجد ضالته, رواية جديدة كان لم يبدأ فيها بعد. جلس زياد ووجهه داخل الكتب كعادة يومية لا غنى عنها ولا بديل لها,



الصداع يتملّك من خلايا رأسه، لكنه يقضي ساعاته بين محطات المترو الطويلة جالسًا في هدوء يشوبه الكثير من الملل الذي اعتاد عليه مع مرور السنوات، يستمع إلى موسيقى الجاز في سماعات هاتفه المحمول ويقرأ رواية بوليسية جديدة تحمل في صفحاتها الإثارة التي طالما افتقدها في حياته الباريسية الهادئة، والتي لم يكن في حسبانه ما سيحدث لحياته بعد فترة قصيرة. زياد في الأعوام الماضية أصبح لا يحب سوى ثلاثة أشياء لا رابع لهم، الويسكي، الروايات، والموسيقى.

المسافة بين الحانة ومحطة نسيون أخذت أكثر من وقتها الطبيعي اليوم لوجود بعض أعمال الصيانة في خطوط المترو، أو ربما لأن خطوط المترو أصابها العجز مثلما أصاب بريق المدينة، هو لا يبالي حقًا طالما سماعاته تعمل والكتاب في يده لم تنتهِ صفحاته بعد، اليوم هو يقرأ رواية رومانسية على غير عادته، لا مانع من بعض التغيير في بعض الأحيان حتى وإن كان التغيير في شيء تافه مثل نوعية الكتب التي يقرأها. ولكن في بعض الأوقات، التغيير الذي نقدم عليه قد يغير مسار حياتنا كله. نظر زياد إلى انعكاس صورته في نافذة المترو، يرى فيها رجلًا قارب على العقد الخامس من العمر، يعلم أن بداخله ما زال هذا الشاب المصري العشريني اليافع، ولكن الزمن يرفض هذا الشعور، مهما تحايل على القدر بملابسه الشبابية الغالية وقمصانه الزهرية وحتى قَصّة شعره التي تشبه قصة شعر براد بيت في فيلم «تروي»، فهو -ورغم كل شيء- رجل قارب على الخمسين عامًا ولا شيء قد يُغير ذلك.

زياد كان الأكثر وسامة في شلة الطفولة، والده كان موسيقيًا ناجحًا، إلا أن نجاحه كان على نطاقٍ محدود، كان الأب فنان بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وهو الشيء الذي ورثه عنه بالفطرة، يتحدث الفرنسية بطلاقة فريدة كمَن ترعرع في ضواحي باريس لكونه تخرّج



من أرقى المدارس الفرنسية في مصر. في طفولته، أراد زياد أن يتم اكتشافه كعازف بيانو في بلده مثلما حدث مع والده، إلا أنه بعد تلك الليلة المشؤومة تغير كل شيء.

يسرح زياد في انعكاس هيئته على زجاج المترو، هو حقًا يشبه أباه الراحل كريم أورفلي، ويشبهه أيضًا في شغفه وولعه بالموسيقى. هما الاثنان قررا إهداء حياتهما ومستقبلهما إلى الموسيقى ولا لشيء آخر، ولكن ما نهديه عمرنا وشغفنا ليس عليه بالضرورة أن يفعل هذا معنا في المقابل، ليس دائمًا، الحياة ليست منصفة تمامًا في أغلب الأوقات.

أتى كريم أورفلي من لبنان إلى مصر في منتصف السبعينات، وبدأ رحلته مع الموسيقى وعزف البيانو، حتى تعرف على حبيبته جيهان -والدة زياد- وتزوجا بعد فترة طويلة، ورغم أن الأب لبناني إلا أن زياد تربى بأصول ولهجة مصرية خالصة، ولم يحمل من جذور الأب سوى جينات الموسيقى واسم العائلة التي طالما سئِل عنها كثيرًا وعن أصلها، إلا أنه كان دومًا يجيب بأنه مصري حتى النخاع.

كان أباه رجلًا استثنائيًا، يعشق الموسيقى بكل تفاصيلها، يتعامل مع الآلات الموسيقية كمَن يتعامل مع حبيبة متناهية الجمال، كريم طالما كان يسأله هذا السؤال فقط ليتأكد دومًا من شغف زياد الذي لا ينتهي:

- نفسك لما تكبر تبقى إيه يا زياد؟

- نفسي أبقى زي حضرتك يا بابا ..

يسرح فيتذكر أيام الدراسة، ويتذكر مدرسته والأصدقاء، يجاهد كثيرًا عقله لكي يتذكر كما ينبغي، الوجوه والتفاصيل تخونه حينما يريد استعادتهم إلى رأسه الآن، وهو حقًا لا يمانع هذا النوع من الخيانة التي تعني نسيان أشياء لا يتمنى تذكرها بالشكل الكامل، أشخاص



كانوا قريبين منه، والآن لا يتذكر حتى أسمائهم، إلا أن بعضهم سيظل محفور بعقله إلى الأبد لأسباب عديدة، آخرون هم أشخاص رحلوا عن العالم ولا يعلم عنهم أي شيء، أُناس منسيّون تمامًا وآخرون يستحيل نسيانهم، بالضبط مثل «سلمى".

سلمى في الماضي كانت هي الحدث الأهم في حياة زياد المدرسية، وحلمًا مستحيلًا لكثيرين من أطفال المدرسة، الكل يعشق سلمى، الكل يعود إلى بيته في المساء ليسرح في شعرها الأصفر اللامع وعيونها الزرقاء، يسرحون في ابتسامتها وتفاصيلها الطفولية في الظاهر، والأنثوية بشدة في الباطن، خيالهم جميعًا وقلوبهم مع سلمى، ولكنها اختارت وببساطة وتلقائية الطفولة أن توهب فؤادها لزياد أورفلي .طالما كان يقابلها بعد ساعات المدرسة ليتجاذبا أطراف الحديث والعشق، حب صادق لم يلوَّث، خالٍ من المصالح والألم.

- لما نكبر هتيجي تطلب إيدي من بابا؟

- نتجوز يعني تقصدي؟

- أيوا.. أنا أختي الكبيرة قبل ما تتجوز جوزها جِه وطلب إيدها من بابا.

حديث طفولي في ظاهره، مليء بالمشاعر في باطنه.. «لماذا نطلب أيديهم وقلوبهم التي نريدها أكثر من أي شيء آخر؟"

أين هي سلمى الآن؟ كم ازداد جمالها؟.. يسأل نفسه أسئلة كثيرة تدور كلها في كوكبها الذي غادره ورحل بلا تمهيد ووداع بسيط يليق بقلوب صغيرة لم يتخللها النضج بعد.

- أنا هسافر أعيش في فرنسا يا سلمى.

- شايف إن البعد هو الحل؟

- أنا مش هقدر أعيش هنا وأنا عارف إن أيوب مدفون زيه زي كلاب



الشارع.

- طب وأنا؟

- لو لينا نصيب هرجع لك يا سلمى.

ترك كل شيء وراءه وهاجر إلى فرنسا ليكمل دراسته بالكونسرفتوار بباريس, وبعد تخرجه أصبح يعمل كعازف بيانو في إحدى فرق الموسيقى الشهيرة, حتى انفصل أعضاء الفريق في بداية الألفينات, وبعدها بدأ زياد عمله كعازف مستقل ما بين حفلات في دور الموسيقى الشهيرة بأوروبا وصالات الاستعراض كفقرة دائمة يومية, انغمس هو في فنه وعمله, ونسيَ حُبه ووعوده, نسي هويته وتناسى ماضيه القبيح. ابتسم زياد بأسى و عاد مرة أخرى إلى كتابه, المترو قارب على الوصول إلى وجهته, وهو قارب على الوصول إلى بدايته.



دوسلدورف – ألمانيا..



في بعض الأوقات، تحلم أحلامًا كثيرة، أحلامًا لا تنتهي من كثرتها وجمالها، تحلم كثيرًا بأحلام وردية برّاقة، وفجأة تجد نفسك تحلم أحلامًا أخرى لأشخاص آخرين تمامًا. هذا هو حال ضياء منذ قرر الهجرة إلى ألمانيا بعد تخرجه وزواجه بحب حياته فرح. رأى أن الهجرة هي الحل الأمثل لمستقبل مزدهر له ولها ولأولادهم بعد ذلك. رأى أن الهجرة هي الحل الأمثل ليبتعد عن ماضيه، وقد اشترط على فرح قبل زواجهما بأن تقبل عرض الهجرة وإلا لن تكتمل قصتهم.

لم تمانع فرح على الإطلاق فكرة الهجرة، بل بالعكس فقد تحمست لها واقتنعت تمامًا بتفكير ضياء. ثلاثة أعوام قضاهم في عمله هناك بكل اجتهاد وضمير كمهندس كمبيوتر. قام بادخار مبلغ لا بأس به، اشترى سيارة أحلامه. وبعد سبعة أعوام كان هو وفرح يعيشان حياةً مُرفهة في بيت كبير من ثلاثة طوابق كتلك البيوت التي نراها في المسلسلات الأجنبية، بالإضافة إلى سيارتين فارهتين.

في العام التاسع لهم، في ألمانيا رزقهم الله بطفلتهم الأولى، أمل، وبعدها بعام أعطاهم الله طفلين توأم، رامي ورنا. تحولت أحلام ضياء إلى أحلام الأسرة. استبدل سيارته الرياضية البورش بسيارة فان لتتسع



لجميع أفراد الأسرة، استبدل عاداته وهواياته في الصيد ولعب الجولف إلى تعلم كيفية تغيير حفاضتي أطفال في نفس الوقت.

ضياء الذي سعى كثيرًا وراء الأحلام الوردية اكتشف في النهاية أنها ليست وردية تمامًا، ربما تكون حمراء أو بنفسجية، ولكنها بالطبع ليست وردية. ثلاثين عامًا تقريبًا قضاها ضياء وفرح في الغربة، أصبح ثريًا ولكن حزينًا، ذا نفوذ ولكن ذابل مثل الزهرة التي قاربت على الموت. ابنته أمل تتم عامها الثاني والعشرين هذا العام وتعمل كمصممة أزياء تحت التمرين في هولندا، أما التوأمان فما زالا يعيشان في منزل ضياء.

فكّر ضياء كثيرًا في وجوب عودته إلى مصر بعدما حقق كل شيء، وبعدما مرَّ الكثير من السنوات على موت أيوب، هو لم يزر أهله مرة واحدة منذ ثلاثين عام، يبعث لهم كل عامين أو ثلاثة بتذاكر طيران ليأتوا إليه ويمضوا أسبوعين مع أحفادهم ثم يعودون إلى مصر مع وعود لا تنتهي من ضياء بأنه سيعود إلى مصر في أقرب فرصة ممكنة، والفرصة في الواقع بالنسبة إليه لا تأتي أبدًا. أصبح يشعر بأنه حبيس هذا المكان الخالي من الروح، حبيس لحظة لا تتغير ولا تمر ولا تتطور.

يتمني أن ينتهي ديسمبر سريعًا، يتمنى أن ينتهي الشتاء، يتمنى أن يجد في أيام الربيع بعض الونس في رياح قادمة من وطن بعيد، هذا هو حال ضياء، طائر بلا أجنحة وبلا هوية.



القاهرة – مصر..



في إحدى شوارع حي العجوزة, يعيش نصر وزوجته شيماء منذ سنوات, في الماضي كانت حياته مختلفة تمامًا, شقة فخمة في الزمالك وسيارة ألمانية يتباهى بها وبمواصفتها في كل مكان, إلا أن الحال لا يدوم للأبد, فسرعان ما تبدّلت حياته بين ليلة وضحاها.

استيقظ نصر من نومه فيجد شيماء تقف أمامه في تحفز واضعة «ماسك» من الزبادي على وجهها لينتفض هو من مكانه ويصرخ فيها غاضبًا:

- إيه الصباح اللي زي وشك دا يا شيماء! حد يقف لحد كدا؟

- إيه؟ شفت عفريت؟

- أنيل! انتِ لو العفريت شافك هيعملها على نفسه!

- طيب قوم امضي علي استلام الجواب اللي جالك.

- جواب إيه؟

- وأنا هعرف منين؟ واحد على الباب بيقول معاه جواب ليك وعايزك تمضي بالاستلام.



- آما نشوف إيه الموضوع دا. وبعدين انتِ فتحتِ للراجل بالمنظر دا؟ الرحمة يا حاجّة!

- قوم طيب.. قوم وكفاية هزار.. افتح له على ما أحضّر لك الفطار.

تمطّى نصر وتوجه إلى باب الشقة, حيث كان في انتظاره رجل ذو هيبة, يرتدي بدلة زرقاء ويحمل في يده دفترًا وبعض الجوابات, ابتسم له وهو يسأله: حضرتك معاك جواب ليا؟ من مين؟

- أنا مشكور فتحي, خادم السيد عبد التواب أباظة, وهو باعتني لحضرتك بالجواب دا.

- عبد التواب أباظة! يااااه! دا أنا ما اعرفش حاجة عنه بقالي ييجي ٣٠ سنة. إيه اللي فكره بيا بعد العمر دا كله؟

- عبد التواب باشا عازم حضرتك في قصره بعد أسبوع, الجواب دا فيه كل التفاصيل, يا ريت حضرتك توقع في الدفتر بالقبول أو بالرفض.

- أقبل طبعًا.. دا عبدالتواب دا عشرة عمر..

أغلق نصر باب شقته وهو يُقلب الظرف في يده يمينًا ويسارًا بكَفٍّ ينقصه إصبع, وبيده الأخرى يُدلك ما طاله من ظهره المتيبس من قلة الحركة.

فقد نصر عمله منذ سنوات في قضية رشوة تم اتهامه بها لكونه «آخر الشرفاء» على حسب قوله, انتهت القضية بالصلح ووجوب استقالته, قلة الدخل كان السبب في تغير كل شيء, تم استبدال الحياة المرفهة بأخرى تحمل بين طياتها الشقاء وقلة الحيلة, قال له مديره: «انت بقالك معانا سنين طويلة يا نصر وأنا مش هرضى لك تتأذي, قدم استقالتك واتكل على الله».

لم يستطع رغم الكثير من المحاولات أن يجد وظيفة أخرى,



من سيُعين رجلًا أربعيني سمعته في سوق العمل قد تلوثت! باع منزل الزمالك واستبدله بشقة أصغر في منطقة العجوزة, والسيارة المرسيدس أصبحت سيارة صيني, خسر أموالًا طائلة في محاولة علاج ظهره, والذي لم يعرف طبيبًا سبب التهابه الدائم, تم تشخيصه بأشياء مختلفة حتى أن أحد الأطباء أخبره بأن ألم ظهره نابع أساسًا من أزمة نفسية. الآن يعيش مع زوجته التي رفضت تركه في محنته, يعيشان على معاشه البسيط والدروس الخصوصية التي يعطيها لأبناء الجيران والمعارف.



الجونة – مصر..



المسافة ما بين غرفة النوم الخاصة بأكرم وحديقته الأمامية تحتاج إلى «رحلة» بسيارة الجولف. يدلف أكرم إلى حديقته مرتديًا روب الاستحمام ليتمتع بعصير الكريز المفضل لديه, ويبدأ بعدها يومه في تكاسل, والذي يقضي أغلبه في قراءة السيناريوهات المعروضة عليه ليختار ما يريد ويرفض ما لا يعجبه, في الماضي كانت تلك السيناريوهات لبطولة العمل, أما الآن فكل ما يحصل عليه أصبح أدوارًا صغيرة أو بلا أهمية تُذكر, إلا أن عشقه للأضواء جعله يقبل أي شيء في سبيل شهرة لا يتمنى موتها. بعدها يلقي بجسده في حمام السباحة والذي يضاهي في حجمه حمامات السباحة الأولومبية.

قارب أكرم على عقده الخامس وهو لا يشعر بأنه قد فاته أي شيء في هذه الدنيا, لم يتزوج ولم ينجب, إلا أنه حقق كل الشهرة التي قد يحققها أي إنسان في الدنيا, أفلام سينمائية أصبحت جزءًا من التاريخ, مسلسلات وبرامج وعلاقات نسائية لا حصر لها. بدأت رحلته الفنية عن طريق الصدفة بعد تخرجه من المدرسة بفترة وجيزة, كان وقتها يمر بفترة عصيبة بعدما فقد صديقه أيوب, وكان يتسلل خلسة ليشاهد مسلسلًا كان يتم تصويره في فيلا قريبة من منزله, في يوم وجده مخرج العمل وطلب منه أن يقوم بكاستينج بسيط ليعطيه بعدها دورًا صغيرًا



في المسلسل, ثم توالت الأعمال والأفلام حتى أصبح بعد عشر سنوات نجمًا محبوبًا, حتى وصل الآن ليصبح نجمًا من نجوم الصف الأول, إلا أن كسله جعله مائل أكثر إلى الانعزال.

بعدما خرج من حمام السباحة احضرت له سكرتيرته الخاصة افطاره وجواب قد وصل اليه هذا الصباح, تجاهل الطعام وقام بفض محتوى الجواب على الفور...



امستردام – هولندا..



بعد الليلة المشؤومة, كان قرار الهجرة بالنسبة لفيروز لا مَفر منه, قررت الرحيل إلى هولندا لتصبح عارضة أزياء, بالإضافة إلى دراسة تصميم الملابس, وبعد سنوات من التعب أصبح اسم فيروز في أمستردام لا يُستهان به, ذاع صيتها في هولندا لكونها فتاة مصرية حققت الكثير قبل أن تبلغ سن الأربعين. والآن, وبعد مرور ثلاثين سنة على هجرتها, أصبحت لا تعترف بأصلها العربي, أطلقت على نفسها اسم "فاي", أصبحت لا تنطق ولو كلمة واحدة باللغة العربية, حتى لو قابلت مصريين أو عربًا في أي مكان. تمردت على هويتها حتى أصبحت بلا هوية حقًا.

كل ما تبقى لها من الماضي هي ذكرى تلك القطعة التي حصلت عليها من اللعبة, قطعة الساحر, كل ما حققته من نجاح وشهرة هو بالطبع سحر, إلا انها كانت تخبر نفسها دومًا بأنها هي سبب كل هذا النجاح وليست تلك اللعبة الغبية.

في صباح هذا اليوم, دلفت إلى غرفة مكتبها لتراجع بعض التصميمات والمبيعات, فوجدت جوابًا مغلقًا بإحكام فوق جهاز الكمبيوتر الخاص بها, فتحت الرسالة بعناية لتجدها مكتوبة باللغة



العربية.

كان رد الفعل الأول للرسالة شهقة لا إرادية, أعادت قراءة الورقة مرات عدة ليخرج منها أول شيء دار في ذهنها في تلك اللحظة: معقولة؟!



باريس – فرنسا..



هبط زياد من المترو, كانت عاملة المحطة تذيع في الميكروفون بيانًا بأهمية الانتباه إلى النشالين واللصوص, شرد مع صوتها في أسى وهو يتذكر باريس التي عرفها منذ أن كان شابًا وحالها الذي لم يعد يعرفه الآن بعد مرور السنين, كل هؤلاء الرومانيون أصابوا البلد بوباء لا شفاء منه, ما بين عصابات سرقة ونشل, وعصابات أخرى تعمل في التسول مدعين أنهم لاجئين من سوريا لكسب تعاطف المارة, وعصابات غيرهم يعملون في الدعارة .

حكى له منذ عدة أيام صديقه ميشيل بأنه تعرض لمحاولة سرقة في المترو, ميشيل رسام تخطى السبعين عامًا, تأثر زياد وهو يسمع قصة صديقه الفرنسي الذي لم يعد يعرف مدينته ومدينة أجداده, ابتسم في حزن عندما تذكر (عبده كسكسي), أشهر لِص في منطقته في أيام طفولته, كان عبده لصًا شريفًا, يخبر الجميع أنه لا يسرق فقيرًا أو عجوزًا, ولا يتعرض لسيدة في الشارع أبدًا, هو فقط يسرق «البهاوات» كما يسميهم. أما الآن, فكل المبادئ والأخلاق أصبحت في خبر كان, بلا أمل لعودتها للحياة مرة أخرى.

بدأ المطر في الهطول مجددًا, ولكن بشكلٍ أعنف, شعر هو



بالغضب، فقد ابتلّت كل ملابسه، وهو لِحَظِّه العَثر لم يأخذ مظلته معه اليوم. جرى مسرعًا إلى عمارته والماء يغرقه بلا رحمة، سرَت في جسده قشعريرة عندما تذكر الشتاء في الإسكندرية فيما مضي، هو في الواقع تذكر نفسه وهو يركض تحت الأمطار في سعادة ولا يبالي بالبرد على الإطلاق، أما الآن فالوضع قد اختلف تمامًا. نظر نظرة خاطفة إلى صندوق بريده الذي هو في الأغلب لا يحمل سوى فواتير وديون لا تنتهي، ولكن هذه المرة رأي جوابًا مختلف الشكل، سحبه من الصندوق بيدٍ مرتعشة ودلف إلى شقته ليتخلص من ملابسه المبتلة.

وضع الإبرة على الجرامافون وهو يتناول شطيرة من جبن الشيفر الذي يعشقها بعدما أخذ حمّامًا ساخنًا ووضع نفسه داخل ملابس نوم نظيفة، جلس قليلًا محملقًا في سقف الغرفة وهو يستمع إلى «بيتهوفن»، بعدها تذكر الجواب الذي وجده في صندوقه، فتح الجواب وليزداد تعجبه فقد وجد أن الجواب مكتوب باللغة العربية التي لم يقرأها منذ سنوات، احتاج عدة دقائق لتعيد له ذاكرته الحروف الأبجدية مرة أخري، ومِن ثَمَّ بدأ في القراءة.

«صديقي الغالي جدًا،

زياد أورفلي..

بعد التحية والسلام والأشواق، وعشان ما أطوّلش عليك كتير، أنا عارف إن بقالنا سنين كتير مش بنتكلم، وعارف إنك بقالك سنين ما رجعتش مصر، الجواب دا فيه دعوة ليك بعد أسبوع تيجي تزورني في قصري وتكون ضيفي لعدة أيام، طيارانك وسفرك كله عليا أنا، مش عليك أي شيء غير إنك تحضّر شنتطك وتيجي. هتلاقي في ضهر الجواب رقم تليفون، اتصل بيه وهما هيظبطولك الحجز والانتقالات وكل شيء.

أشوفك على خير يا صديقي.



أخوك:

عبد التواب أباظة».

أعاد زياد قراءة الجواب عشرات المرات وهو ما زال غير مصدق أو مُدرك لمحتوى الجواب.

- عبد التواب أباظة!



دوسلدورف – ألمانيا..



يستيقظ قبل الجميع, يرتدي حذاءه الرياضي ويركض لساعةٍ أو أقل, حسبما يقرر جهازه التنفسي غير المتعرض للعوادم والأتربة بضمان ثلاثين عامًا, ولكنه ما زال معرضًا لدخان السجائر, تلك العادة التي لم يستطع التخلي عنها أبدًا..

- أنا بجد بحب السجاير.. بستمتع بيها.. بتحتويني كدا.. عارف إنها هتموتني بس برضه بحبها ...

يجري قليلًا, وعند عودته يغير ملابسه ويتجه إلى شركته التي تقع في نهاية شارع منزله, ومع ذلك فهو يذهب إلى عمله بسيارته الفارهة, لا لسببٍ مفهوم حقًا سوى حبه الدائم للتباهي. عاد من ركضه الصباحي ليجد كلبه (باتش) جالسًا أمام عتبة المنزل وبين يديه ظرف صغير كان قد تركه عامل البريد منذ قليل ..

- guter hund

قالها ضياء بألمانية صحيحة وربّت على رأس كلبه, ومِن ثَمَّ جلس إلى جانبه ليقرأ الجواب. وفور أن انتهى منه تغيرت ملامح وجهه غير المدركة تمامًا لما قد قرأ الآن, وقال في تعجب:



- عبد التواب أباظة! غريبة!



قصر عبد التواب – مصر..



في شرفة قصره التي تطل على حديقة خلابة, جلس عبد التواب أباظة يتأمل الفراغ, أصبح الآن شديد الضخامة والهيبة, يداري ضخامته بداخل حُلة داكنة اللون. في هدوء جلس يتصفح بريده الإلكتروني وهو يحتسي بعض الشاي الأخضر.

دخل إلى مكتبه خادمه ومساعده الشخصي (مشكور) على استحياء, نظر إليه عبد التواب وأشار إليه بيده أن يقترب ..

- عملت إيه؟

- كلهم جايين يا باشا.. ما يكونش عند سيادتك أي فكرة, يومين وأصدقاء معاليك يبقوا على باب القصر.

- ما عندكش فكرة أنا مستني اليوم دا من قد إيه يا مشكور!

- اللي مش عايز يجي هنعرف إزاي نجيبه يا باشا.

***

شعر زياد في الأيام القليلة التي تلت وصول الجواب إليه ببعض التخبط وعدم الاتزان, يفكر في قرار قد يسعده أو قد يندم عليه, إلا



أنه لم يجد حلًا أو جوابًا, لم يجد حتى علامة ليستخدمها كقرار. حتى أتت الليلة الثالثة من وصول الجواب, كعادته بعد عمله يذهب إلى نفس الحانة ليشرب كثيرًا ويفكر كثيرًا, فكر كثيرًا في وجوب تغييره مكان ثملاته المفضل لشعوره الدائم بأن الويسكي مغشوش.

خرج من الحانة في العاشرة تقريبًا ليتجه كعادته إلى سيارته, إلا أنه شعر أن هناك مَن يتبعه, بدأ في زيادة سرعة خطواته إلا أن الأقدام زادت من سرعتها أيضًا, فالتفت في قلق ليجد شابًا فرنسيًا عشريني من المتشردين يقترب منه وهو يحمل في يده مطواة صغيرة ظنها غير ظاهرة أسفل معطفه الطويل.

- monsieur, auriez-vous une pièce pour le chien?

إلا أن زياد لم يعِره اهتمامًا, وهَمَّ بالدخول إلى سيارته. مؤخرًا أصبح المتسولين يتفننون في طرقهم في النصب, حتى أصبحوا يشحذون من أجل إطعام كلابهم. نظر زياد مرة أخرى إلى الرجل الذي لم يكن في يده كلب أو غيره, فقط تلك المطواة التي كانت تلمع في الظلام, حاول زياد أن يسبقه ولكن الشاب أمسك زياد من معطفه وبدأ في جذبه من الخلف, حاول زياد أن يستنجد بأي شخص إلا أن الشارع كان خاليًا تمامًا من المارة.

صاح به زياد لعله يبتعد قائلًا بصوت غاضب أن يبتعد, إلا أنه لم يعِر لكلمات زياد أي اهتمام, وظل يحاول جذبه من معطفه, فما كان لزياد سوى أن سحب من أسفل مقعده بالسيارة قطعة خشبية كان ينوي أن يستخدمها لمدفأته, وانهال بها على رأس الشاب الذي سقط على الأرض والدماء تسيل من رأسه بلا توقف.

انتفض زياد من مشهد الدماء ودلف سريعًا إلى سيارته ورحل بعيدًا إلى منزله أولًا ليُلملِم حقيبته, ومن بعدها إلى المطار فورًا.





كان عبد التواب من قصره يتابع الأحداث كلها عن بعد, نصر. وضياء, وأكرم لم يكن اقناعهم بالعودة أمر صعب, احتاج أن يفتعل جريمة زياد ليجبره على العودة. نفس الشيء أيضًا فعله مع فيروز التي استقيظت في اليوم التالي على مكالمة كئيبة من سكرتيرها الخاص يخبرها أن المكتب احترق بالكامل, سقطت فيروز مصدومة على أقرب كرسي لها تحاول أن تستوعب الأمر, حتى جاءتها مكالمة أخرى يخبرها أحد شراكئها عن وجوب فض العمل بينهما لسبب غير معلوم.

مر الأسبوع سريعًا, قرروا جميعهم الذهاب إلى عبد التواب في النهاية, فما الضرر من رحلة مجانية!

زياد الآن أصبح هاربًا من جريمة قتل مُحتملة, فيروز خسرت كل شيء, أما بالنسبة لنصر فرأى أنه من الممكن أن يساعده عبد التواب في فرصة عمل جيدة تساعده في حياته المريرة, أو ربما قد يحصل منه على مبلغ ضخم يسنده في حياته. أما أكرم فهو دائم البحث عن مغامرة جديدة قد تكون مفتاحًا يعيده مرة أخرى إلى عالم الأضواء والشهرة, وضياء فهو لا يطيق الغربة, وكان يتمنى سببًا واحدًا ليعود.

الكل رأى مصلحةً ما في تلك التجربة, الكل لا يبحث عن الدعوة بل ما وراء تلك الدعوة.



قصر عبد التواب – مصر..



في اليوم المحدد, اتجهت سيارات عبد التواب الفارهة إلى أربع جهات مختلفة, الأولى إلى الدقي لاصطحاب نصر من منزله, الثانية والثالثة إلى مطار القاهرة الدولي لاصطحاب زياد وفيروز, والرابعة إلى مطار برج العرب لاصطحاب ضياء, والخامسة إلى الجونة حيث يعيش أكرم في قصره.

وضع زياد قدميه على سلم الطائرة التي هبطت للتو, شعور غريب هو مزيج من الحنين والغربة غير المفهومة, أهيَ غربته للعودة أم غربته للبقاء؟ لم يعد يعرف لأي الدولتين ينتمي, أهو مصري أم هويته أصبحت تميل إلى اللون (النبيتي) مثل لون باسبوره الفرنسي؟ لم يعد زياد الذي يعرفه, ولا يعلم حقًا ماذا يفعل في تلك البقعة من الأرض في هذه اللحظة, مع كل خطوة يخطوها نزولًا يشعر بقطعة من روحه تعود, تتجمع وتتبلوَر وتخترق جسده لتستكين بعد ثلاثين عامًا من الفراق واللا هوية.

الإجراءات انتهت سريعًا, لا مشاكل من أي نوع, خرج إلى الصالة الخارجية ليجد شخصًا يرتدي حُلة فاخرة يمسك بلافتة مكتوب عليها «زياد بك أورفلي», ضحك زياد و هو يتذكر عبد التواب أيام المدرسة,



كان زياد هو الأوسم بلا منازع, وكان عبد التواب يمازحه دومًا ويقول:

- أنا هسميك زياد بك أورفلي, عشان شكلك شبه البهاوات بتوع زمان يا زوز.

تعجب زياد لتذكره تلك القصة, وتعجب أكثر لتذكر عبد التواب هذا الأمر. أشار إلى الرجل ذا الحلة وذهب خلفه إلى السيارة المنتظرة.

***

شعور سخيف بالاختناق سيطر على ضياء بمجرد دخوله السيارة التي كانت بانتظاره, ينظر حوله إلى الشوارع ليتذكرها, ولكنها لم تعد الشوارع التي كان يعرفها فيما مضى, ينظر إلى الأشخاص من حوله ولكنهم لم يعودوا يشبهون الناس الذي عاشرهم وعاش معهم طفولته وشبابه. ترك البلد وهي أشبَه إلى بلاد الغرب, وها هو يعود ليرى بواقي مشوهة وأحلام مهدومة لأشخاص منسيين, الزحام يكاد يصيب رأسه بجلطة وهو الذي أصبح يعيش في واحدة من أهدأ مدن ألمانيا.

- هو إيه اللي حصل في البلد؟

سأل السائق الذي ابتسم في أدب وأجابه في تحفظ:

- الحمد لله يا باشا.. فضل ونعمة.

- كان لازم تتولد من ٥٠ سنة زيي عشان تشوف النعمة والجمال اللي بجد.

- ما أيام حضرتك هي أيام الخير يا ضياء باشا.

- حتى باشا دي ما كانتش بتتقال لأي حد كدا والسلام.. هنقول إيه بس!

***

ما بين حنين زياد وغضب ضياء, كان التفاؤل مصاحبًا لنصر الذي



شعر بأنه شخص هام وهو يجلس في المقعد الخلفي للسيارة الفاخرة ويضع ساقًا على ساق في «فشخرة" .

- وعبد التواب باشا أخباره إيه؟ شغله ماشي كويس الحمد لله؟ خلي بالك دا صاحبي من أيام المدرسة!

نظر السائق إلى نصر بهيئته المتواضعة, لا يصدق أن هذا البائس صديق عبد التواب, إلا أنه أجابه قائلًا:

- عبد التواب باشا من عواميد البلد. بسم الله ما شاء الله عليه اسمه أشهر من نار على علم.

- و حضرتك بتشتغل معاه من زمان بقى يا...

- خدامك علاء.. أنا من طقم سواقين الباشا.

- اتشرفنا يا أستاذ علاء.. والباشا بقى ساكن فين دلوقتي؟

- قربنا نوصل يا فندم ما تقلقش.

عاد نصر برأسه إلى الخلف في ارتياح ملامسًا جلد السيارة, وقال وهو مبتسم:

- لا, أنا مش قلقان خالص.. بالعكس.

***

في تمام العاشرة مساءً, تلك الليلة, هبط زياد من السيارة وهو يحمل بين يديه حفنة من الورود. مظهر القصر بدا مخيفًا كئيبًا رغم حداثة بنائه, مطلي بلون أسود حزين, وكأن ساكنيه من مصاصي الدماء أو العفاريت, أسوار القصر عالية بشكلٍ مبالغ فيه ليستحيل على مَن بالخارج رؤية أي شيء.

عاد إلى رأسه كل أفلام الرعب المستهلكة والناجحة أيضًا فور رؤيته لهذا المبنى, لم يستطع زياد أن يخفي ضحكة خرجت منه ليقول



لنفسه:

- دا كان المفروض أجيب صبار مش ورد.. إيه البيت دا!

أفسح له السائق الذي أحضره إلى هنا الطريق ليتبعه إلى الداخل، فقال زياد مداعبًا:

- أكيد طبعًا هلاقي هيتشكوك شخصيًا جوّا!

إلا أن الرجل لم يفهم دعابته واكتفى بهز رأسه في احترام، كان زياد آخر الحضور، فتح له الباب أحد الخدام والذي استقبل زياد بحفاوة كبيرة، بعدها اخذ الورد من بين يديه وطلب منه أن يتبعه إلى صالة الاستقبال.

القصر يبدو أكبر بكثير من الداخل، أشبَه بمتحف لفنان ساديّ امتلأت حوائطه بلوحات دموية غريبة الأطوار، إلا أنه لم يبالِ لكل ذلك. توهجت أعين زياد لرؤية أصدقاء الطفولة الذي لم يرَهم منذ ثلاثين عامًا، ضياء خسر الكثير من شعر رأسه وأصبح يرتدي نظارة طبية، إلا أن ابتسامته لم تتغير، نصر يرتدي قميصًا بسيطًا يخفي جسده النحيل، وعيناه تلمعان في سعادة.

أكرم الفنان القدير، العمر لم يزده إلا جاذبية، والذي كان يبتسم في ودٍّ متحفظ يليق بوضعه الاجتماعي. فيروز تغير شكلها كثيرًا إلا أنها ما زالت تبدو جميلة.

عيناه رغم الحنين تبحثان عن شخص آخر. تعجّب عندما لم يجد سلمى وسط الجمع، إلا أنه تجاهل ذلك وبدأ في استقبال أصدقاء الماضي بالعديد من الأحضان الدافئة وكلمات الشوق والعتاب.

جلسوا هم الخمسة أمام المدفئة يتسامرون ويضحكون، حتى سمعوا صوت خطوات أقدام تقترب منهم. من أعلى السلم ظهر عبد التواب وقد ازداد وزنه بشكلٍ كبير، يرتدي حُلّة أنيقة للغاية، يمسك في يده



اليمنى عصا ذهبية، أما في يده الأخرى كان يمسك بيد.. سلمى!

سلمى التي تمناها زياد لسنوات طويلة أصبحت الآن ملكًا لغريم الماضي. يا لها من حياةٍ غير منصفة! حياة تأخذ وتعطي بلا خطة مسبقة، فقط تحتفظ الحياة لك بمفاجأة قد تسعد قلبك أو تسلب منك روحك وسعادتك. تعجبوا جميعًا لجهلهم بأن سلمى وعبد التواب قد تزوجا، أو حتى على علاقة ببعضهم البعض من الأساس. نظرات الجميع تدور بين عبد التواب وسلمى وزياد بالطبع وهم غير مصدقين.

في الماضي، ابتعد الجميع ولم تعد المياه أبدا لمجراها، ولكن من الواضح أن مياه عبد التواب وجدت طريقًا ما إلى مجرى سلمى بشكلٍ أو بآخر. يشعر جيدًا بحيرتهم، إلا أنه وجد في هذا متعةً لا توصف، قبض على يد سلمي ليتأكد ويؤكد للجميع بأنها ملك له، وقال في سعادة:

- وحشتوني! نورتم القصر!

بدأ الترحاب من جديد، إلا أنه كان أقل حرارة محاط بالكثير من علامات الاستفهام، كانت نظراتهم جميعًا تحاول أن تستوعب ما يحدث وكيف انتهى المطاف بسلمى كزوجة لعبد التواب!

قام بتحيتهم جميعًا هو وسلمى، احتضن عبد التواب زياد وسلمت عليه سلمى وهي ناظرة إلى الأرض في خجل وتوتر، وبعدها جلس عبد التواب، ومِن ثَمّ الجميع، ليبدأ هو الحديث:

- لم الشمل دا فكرني بأيوب.. ألف رحمة ونور عليه!

ثم أكمل وهو يشعل سيجارًا كوبي غال الثمن:

- النهاردا أحلى يوم في عمري، ما كنتش أتصور إني هقدر أجمعكم تاني بعد كل السنين دي، تخيلوا! ٣٠ سنة ما شوفناش فيهم بعض!

- بس إيه الأخبار الحلوة دي يا سلمى؟ مش كنتِ تعزميني!



قالتها فيروز بخبث وهي تمسك بالخاتم الألماظ في إصبع صديقتها.

- أنا وعبد التواب بقالنا أكتر من عشرين سنة متجوزين.. حاولنا نكلمكم نعزمكم وقت الفرح بس ما حدش فيكم رد أو عرفنا له طريق.

- معلش بقى يا مدام سلمى.. أصل ساعتها كان واحد صاحبنا لسه مقتول, ما كانش عندنا وقت نفرح ونهيص لحد!

قالها زياد بشيءٍ من الغضب والاستهزاء, إلا أن نصر تدخّل سريعًا وقال ضاحكًا:

- سيبكم من زمان, آدينا هنا الليلة كلنا وهنحتفل ونرقص كمان.. مبروك يا غاليين!

- القصر ذوقه هايل يا عبد التواب.. اللوحات دي أوريجينال؟

قالها أكرم وهو يتفقد لوحة أصلية مُعلقة على الحائط, كان القصر بالفعل يتمتع بذوق رفيع في كل تفاصيله وينم عن ثراء فاحش لصاحبه.

- شكرًا يا أكرم.. فنان زيك لازم هيقدر الفن والذوق العالي.

- إحنا متجمعين بعد ٣٠ سنة عشان نتكلم عن ذوق أكرم في الفن يا عبد التواب؟ كلنا عايزين نعرف إحنا هنا ليه!

قالها ضياء في هدوء حمل بين طياته غضبًا مستترًا وفضول كبير.

- واحدة واحدة عليا بس يا ضياء, شِم نفسك يا أخي, دا انت بقيت تراعي المواعيد بالثانية زي الألمان. تتعشوا الأول وبعدين اللي عنده سؤال أجاوبه عليه.

بالطبع تهلَّلت أسارير نصر فور سماعه كلمة «تتعشوا», وقال:

- أهو دا الكلام السليم يا أباظة يا أبو الكرم.. وما تنساش النبيت



بقى ودلعني.

- كل اللي نفسك فيه موجود يا نصر. اتفضلوا على السفرة..

كان الجميع منبهرًا بتفاصيل القصر, والذي يتشابه مع القصور الملكية في تفاصيلها وأثاثها, يعلموا جميعًا أن عبد التواب يعشق التفاخر بممتلكاته منذ نعومة أظافره, لكن ما يروه الآن قد تعدى كل حدود البهرجة. إلا أن زياد كان اهتمامه الأكبر بعبد التواب شخصيًا, ليس لأنه سرق حبيبته القديمة, بل لأنه يعلم في قرارة نفسه بأنه يخفي سرًا كبيرًا وراء دعوة الليلة, وكم كان زياد محقًا في شكِّه.

كان بانتظارهم وليمةً ضخمة حملت بين طياتها كل ما لَذَّ وطاب من طعام, افتتح نصر الوليمة بهجومه على الطعام كمَن يستقبل صديقًا قديمًا طال غيابه, وبدأ مِن بعده الجميع في الأكل في صمت غريب. أهمل نصر كل الخضروات والمعجنات وذهب بكل قوته يلتهم الديوك الرومي واللحم المشوي الذي حُرم من وجوده الدائم في حياته طويلًا. فيروز كانت أشبَه بمَن يكتشف الطعام لأول مرة. أما زياد فاكتفى ببعض اللقيمات الصغيرة, رؤيته لسلمى مع عبد التواب أفقدته شهيته. أما أكرم فبحث عن كل ما لا يحتوي على لحوم ليأكله.

كانت الساعة قد قاربت على منتصف الليل عندما فرغوا من الطعام, عادوا مرة أخرى إلى غرفة الاستقبال يحتسون القهوة والشاي, حتى بدأ عبد التواب في كلامه بلا تمهيد:

- عارفين إيه اللي يخوّف أكتر من الموت؟

نظر إليه الجميع ونظرات القلق تعتلي وجوههم ينتظرون باقي كلماته, فأردف:

- الوقت اللي بتستنى فيه الموت يخوف أكتر من الموت نفسه. وانتم بقالكم ٣٠ سنة عايشين حياتكم ونسيتوا اللعبة اللي كانت في الأساس سبب بعدنا وغربتكم, كانت تقريبًا السبب في كل حاجة



حصلت لكل واحد فينا, سواء كويسة أو وحشة.

- انت مرجّعنا عشان اللعبة! انت أكيد مجنون!

قالها ضياء في انفعال:

- ما حدش عايز يلعب اللعبة دي تاني, وكفاية اللي حصل زمان يا عبد التواب.

قال نصر في توتر وانفعل زياد هو الآخر وقال:

- احمد ربنا إن ما حدش فينا بلّغ عن موت أيوب, ومتشكرين أوي على العزومة يا أباظة باشا.. دا السجن أرحم يا أخي!

قامت فيروز من مكانها وقالت:

- كلنا هنأجل تاني, ونبقى نشوفك كمان ٣٠ سنة!

قاموا جميعًا من مكانهم ليرحلوا, إلى أن أخرج عبد التواب من جيبه مسدسًا صغيرًا وقال صارخًا وهو يشير بفوهة سلاحه إلى صدورهم:

- مافيش تأجيل تاني.. واللي هيفكر يمشي أو يهرب هقتله!

ثم نادى على خادمه وأكمل كلامه موجهًا الحديث لمشكور مساعده الخاص:

- تاخد الضيوف توريهم غرف نومهم, وتنبّه عليهم إن مداخل ومخارج القصر كلهم مقفولين, فبلاش حتى يحاولوا يهربوا. وإن مافيش هنا شبكة لو فكروا يستخدموا تليفوناتهم, وطبعًا مافيش خط أرضي. هما هنا عشان يلعبوا وبس.

- انت خاطفنا يا عبد التواب؟!

- كلنا محتاجين بداية جديدة يا زياد, اعتبر إن دي البداية الجديدة اللي بقدمها لك, حاول تستغلها صح يمكن تخرج من هنا كسبان حاجة, أو حتى كسبان نفسك. جرّب يا أخي طعم المكسب على سبيل



التغيير!

كل ما دار في أذهانهم في تلك اللحظة أن عبد التواب قد فقد صوابه. ثلاثين عامًا يتحاشون رؤية بعضهم البعض, والآن هم مجبرون أن يمكثوا تحت سقف واحد حتى تنتهي اللعبة أو ينتهوا هم.

دلف كل واحد إلى غرفته بالدور الأخير, والذي انقسم إلى ثلاثة غُرف, الأولى بداخلها زياد ونصر, والثانية بها ضياء وأكرم, أما الأخيرة فكانت لفيروز. غُرف فخمة إلا أنها بالنهاية غرف بداخل سجن, قد يكون في منتهى الفخامة, إلا أنهم في النهاية مساجين بداخله.

جلس نصر على الفراش وهو يتمطى, بينما ظل زياد يجول في أنحاء الغرفة وهو يشتاط غضبًا, يكره هذا الشعور خصوصًا وهو الذي يعيش حُرًا منذ أعوام طويلة, فجأة وبدون أي تمهيد يصبح مثل الفأر في مصيدة باهظة الثمن.

- روق يا زوز.. خلينا نلعب يا عم.. وبعدين إيه موضوع السجن اللي جبت سيرته على العشا النهاردا؟!

- نلعب إيه وزفت إيه يا نصر انت كمان! هو إحنا لسه عيال عشان يحبسنا ويقولنا العبوا؟ وعلى موضوع السجن فأنا للأسف قتلت شحات في فرنسا حاول يتهجم عليا.

- يا ساتر يا رب! لا انت تفضل في مصر وسط حبايبك وناسك وبلاها غربة تاني. طب بص إحنا نقوله موافقين نلعب بس بمقابل.. يعني نعمل مصلحة بدل ما نلعبها بلوشي!

- تصدق إنك غشيم! اللعبة دي هتخلّص علينا زي ما خلّصت على أيوب زمان.. انت مش شوفته ميت قدام عينك ولا انت مُغيب؟!

- طب خلينا ما نستعجلش الحكم بس واللي ربك رايده هيكون.. جرب بس السرير, دا ريش نعام وهتتبسط.



***

في الغرفة الأخرى، كان أكرم يُعد كوبًا من الشاي الأخضر بكل هدوء، بينما يحاول ضياء جاهدًا أن يجد طريقة كي يحصل على إرسال لهاتفه ليتصل بزوجته، ولكن هيهات. أكرم منذ الطفولة وهو يمتاز بالبرود، ربما عمله كممثل جعله يفقد القدرة على الإحساس الصادق وأصبح حبيسًا للتقمّص.

- وانت في العادي بارد كدا ولا المشكلة من عندي؟ واحد مجنون عايزنا نلعب لعبته المريضة دي وانت قاعد بتشرب شاي أخضر؟ مش عايز بيتيفور؟!

- يعني لما أتعصب وأغلي زيك كدا أبواب القصر هتتفتح لي وهروّح؟ خلينا نفكر بهدوء يا دودو..

- دلوقتي بس عرفت شعرك ما وقعش زيي ليه!

- يا باشا أنا راجل ممثل، يعني لازم شعري يفضل موجود، انت شعرك دا مش هيأكلك عيش.

- والله بارد.. وأنا اللي كنت فاكر إن عيشتي في ألمانيا هتخليني بلا مشاعر!

- هعملك معايا شاي واقعد احكي لي عن حياتك وشغلك.. عايز أعرف كل اللي فاتني..

***

رغم أنها قاربت على الخمسين، إلا أن الفتاة المراهقة بداخل فيروز شعرت بالغيرة من صديقة طفولتها التي تعيش الآن كملكة لهذا القصر، تعجبت من زواج سلمى من عبد التواب لاعتراضها الدائم على شخصيته وطريقة حياته فيما مضى، شعور مُلِح بدأ يسيطر عليها ويخبرها بأنها يجب أن تكون هي سيدة هذا القصر ولا أحد آخر سواها.



لا تتمنى بالطبع عبد التواب زوجًا لها, إلا أنها في قرارة نفسها تتمنى لو أن القصر يصبح بين ليلة وضحاها ملكًا لها.

***

في تمام الثامنة صباحًا, كان مشكور أمام الغرف الثلاث, يدق الأبواب ويدعو الجميع لمشاركة عبد التواب وجبة الإفطار. على مضَضٍ هبطوا جميعًا إلى الأسفل بعد تبديل ملابس النوم, ليجدوا مائدة امتلأت على مصراعيها بكل ما لذَّ وطاب.

ابتسم لهم وقال وهو يدعوهم إلى الجلوس, وأشار إلى مشكور ليبدأ بصب الشاي للحضور.

- صباح الورد عليكم. أولًا, بعتذر لكم عن أسلوبي امبارح, وأتمنى ما حدش يبقى زعلان مني!

- يعني خلاص هتسيبنا نمشي؟

قالها زياد بلهفة شديدة, إلا أن عبد التواب أجابه بالنفي.

- الموضوع أكبر مني ومنك يا صديقي العزيز. اقعد افطر وبعدها نتكلم وأشرح لك ليه ما ينفعش حد فينا يمشي إلا لما اللعبة تخلص.

انتهى الإفطار سريعًا, على الأرجح لم يضع أحد منهم شيئًا في فمه, باستثناء أصحاب القصر ونصر المتلهف على الطعام دائمًا.

انتقلوا بعد الإفطار إلى غرفة المعيشة, والتي احتلت طاولة مستديرة بمنتصف الغرفة حولها سبعة مقاعد, جلسوا جميعًا في ترقب, وغاب عبد التواب عنهم للحظات, حتى عاد وفي يده صندوق أسود يعرفونه جيدًا. سرت بأجسادهم جميعًا قشعريرة فور رؤيتهم للصندوق الصغير بعد كل تلك السنوات. ظنوا كثيرًا بأنهم تخلصوا من اللعبة إلى الأبد, وكم كانوا مخطئين.

- قوانين اللعبة زمان قالت حاجات كتير, من ضمنها إن كل واحد له



نصيب في القطعة بتاعته, كل واحد منكم يقدر يقولي صحة الكلام دا؟

أول من تذكر قطعته كان نصر, قطعة السيدة العجوز, فأخذ نفسًا عميقًا ليشرح وجهة نظره عن تلك القطعة:

- قطعتي كانت الست العجوزة, مش مقتنع إنها مرتبطة بأي شكل من الأشكال بحياتي, بس الست كان وشها عابس وجسمها هزيل وضهرها محني, وأنا بقيت كل دا. خسرت فلوسي وضعفت وبقيت محني زيي زيها.

يشعر زياد في قرارة نفسه أن كل ما يقال الآن هو مجرد تصور طفولي يعيش في رأس صديقه القديم, إلا أنه قرر ان يجاريه حتى النهاية:

- الذئب, تفتكر دا بيدل على الوحدة؟ كونه حيوان بيحب يصطاد لوحده؟ يعني غربتي السنين دي كلها وإني ما لقتش حد أكمل معاه حياتي بسبب القطعة؟

إلا أن عبد التواب لم يجيبه وأشاح ببصره إلى ضياء.

- أنا كانت قطعتي الغراب, يمكن أكون شخص متشائم وأوقات كتير بكون مش مبسوط, بس الكلام عن الغربان دا خرافة من الأساس!

تعلم فيروز جيدًا أن حياتها تحتوي على صندوق أسود مليء بالأسرار, تعلم أن في الأعوام الطويلة الماضية دخلت في علاقات مع رجال بعدد شعر رأسها, ما بين زيجات وصداقات وعلاقات لا تمت للبراءة من شيء, تذكرت الآن أن قطعتها كانت قطعة الساحر, فقالت بصوت متردد:

- أنا طلع لي الساحر, بس مافيش أي حاجة حصلت في حياتي بتدل إني بسحر حد.. خالص يعني!



بدأوا الواحد تلو الآخر في تذكر قطعته, حتى جاء دور صاحب القصر والذي بدأ يتصبب عرقًا, وبعدما تجرع بعض الماء وقف في مكانه وقال:

- كل واحد منكم اتأثر باللعبة بشكل نفسي أو تأثر مرتبط بشخصيته وقدره, أنا اللعبة أثرت عليا بشكل شخصي أكتر.. القطعة بتاعتي كانت الخنزير البري, واللي هتشوفوه دلوقتي ممكن يبقى مخيف, فياريت تمسكوا أعصابكم.

بدأ عبد التواب في خلع حذائه, والذي كشف عن قدمين يكسوهما الفراء, المخيف حقًا لم يكن منظر الفراء, بل لأن قدميه تحولتا إلى أقدام خنزير!

شهقت فيروز بينما تخشّب الباقون في أماكنهم ينظرون لصديقهم التعس بشفقة.

- عرفتوا ليه ما حدش هيقدر يمشي إلا لما نخلص لعب؟

قام ضياء من مكانه وربّت على ظهره وقال:

- حاضر يا عبد التواب.. هنلعب.

ابتسم عبد التواب وقال بصوت أكثر مرحًا:

- وبعدين أنا مش ناوي أسيبكم تمشوا من هنا إيديكم فاضية, كل واحد له عندي أمنية, كل واحد يقولي نفسه في إيه ويعتبر أمنيته اتحققت!

بالطبع كان نصر أول السعداء بتلك الجملة, والذي قال بشيء من الخبث الممزوج بأسلوب تسول رخيص:

- يعني نطلب أي حاجة؟ ولا نتعشّم وفي الآخر نطلع من المولد بلا حمص؟



- ها ها ها.. يا نصر يا حبيبي انت هتطلع من المولد شايل الحمص وشايل الخير كله. وبعدين على الأقل أعوضك عن صباعك اللي راح بسببي!

نظر نصر إلى إصبعه المفقود ولم يقل شيئًا, حتى قام عبد التواب بفتح لوحة اللعب, وقام بتوزيع الأوراق مثلما فعلوا في الماضي. بيدٍ مُرتعشة بدأ ضياء في سحب ورقته الأولى, والتي كانت ورقة الحظ والتي حملت جملة صغيرة "تقدم خطوة واحدة إلى الأمام", فتنهّد بارتياح فور قراءته للورقة, ربَّت عبد التواب على ظهره وقال:

- شوفت الموضوع سهل إزاي؟!



الإسكندرية -١٩٩٠..



جلس زياد يستظِل أسفل الشمسية الضخمة وهو مستمتع بهدوء البحر في هذا الوقت من فصل الصيف بالمعمورة, وعلى بعد خطوات منه كانت مباراة الراكيت بين عبد التواب وضياء قد أخذت مرحلة حارقة من المنافسة.

- شوفلك لعبة تانية يا ضياء.. الراكيت عايزة حد مصحصح.. انت تنزل البحر مع أكرم أحسن!

- الله! انت اللي شكلك خايف تكمل الماتش..

بجانب زياد جلست فيروز وسلمى ممسكتين بشريط عمرو دياب الجديد تتأملان صورته في سعادة ودلال:

- عمرو دياب دا يجنن.. والألبوم كمان يهوس. سمعتِ أجمل ما فيكِ؟

- أنا الأغنية اللي ماشية أسمعها في الووكمان صبح وليل هي و(نندم على العشرة الغالية).

- تحبي النكد زي عينيكِ.. هو صحيح فين نصر؟



نظر إليها عبد التواب بلا اكتراث وقال: بعته يجيب لي سجاير.. اشمعنى؟

- إيه يا عبد التواب السخافة دي؟ هو شغال عندك يا أخي؟

- والله طالما عازمه وواكل وشارب على حسابي يبقى أطلب منه اللي أنا عايزه!

***

- أنا آسف على السنين اللي عدت على كل واحد فيكم وهو شايل جواه موت أيوب, ما كنتش أتمنى له نهاية قاسية زي دي أبدًا.

- وأسفك دا اللي مخليك جاي تكمل على بقيتنا دلوقتي؟ يا أخي قول كلام يتصدق واحترم شعرنا اللي شاب!

- الموضوع بسيط يا أكرم, هنعمل اللي على الورق ونكسب كلنا, واللي هيكسب له إنه يتمنى اللي نفسه فيه.

- اوعى تكون فاكر نفسك ساحر يا عبد التواب وهتحقق معجزات!

- الفلوس أهم من السحر, وأنا فلوسي تقدر تحقق لكل واحد فيكم اللي بيحلم بيه, اللي نفسه أنتج له فيلم, واللي نفسه في مشروع, وحتى انت يا زياد يا أبو لسان طويل لو اتمنيت أبني لك أوبرا وأسميها أوبرا أورفيللي هعملك دا..

- انت باين عليك كبرت وخرّفت يا صديقي, وبعدين انت جاي تحقق أحلامنا وإحنا داخلين على سن الخمسين؟!

- خلينا دلوقتي نلعب وبعدها نشوف لو كنت فعلًا بخرّف ولا لسه بعقلي. وبعدين ماله سن الخمسين؟ خلاص كدا بقيتم عواجيز؟ الناس اللي حوالينا اللي عدوا سن السبعين وعايشين حياتهم دول إيه؟ احلموا وعيشوا حياتكم, على الأقل هتعيشوا من غير لعنة مستنياكم وبتجري وراكم.



تنهد أكرم وسحب ورقة حملت كلمة «مواجهة»، والتي كتب عليها «تناول اللحم بلا طهو» فرمى الورقة على الطاولة بعنف وقال:

- يعني أنا أصلًا مش باكل لحوم واللعبة تقولي كلها نية!

- انت عارف قواعد اللعبة يا صديقي.. لو ما لعبتش هتموت.

- أتمنى فعلًا تبقى قد وعدك في النهاية!

أشار عبد التواب بيده إلى خادمه والذي غاب للحظات وعاد وفي يده قطعة كبيرة من اللحم النيئ والتي تغلفت بقطرات من الدم المتجلّط، ابتسم عبد التواب في صمت وهو ينظر إلى صديقه المذعور والذي قارب على القيء من رائحة هذا اللحم العفن. أكرم نباتي منذ الطفولة، لم يذق طعم اللحم بأنواعه طوال حياته، يقشعر بدنه إذا رأى حيوانًا مذبوحًا.

في يوم من الأيام، كانوا جميعهم في رحلة مدرسية إلى إحدى القرى الزراعية، وبينما هم يتجولون وجد أحد المزارعين يذبح بقرة أمام بناية صغيرة، تسمّر أكرم في مكانه وسقط مغشيًا عليه من منظر الحيوان المذبوح، وها هو الآن أمام حيوان مُشابِه، مُجبر على تناوله وإلا سيفقد حياته.

أمسك أكرم بسكينٍ ليقطع قطعة من اللحم والتي جاهد قليلًا ليقطعها من شدتها، بدأ يقرب قطعة اللحم من فمه والدموع تهطل من عينه ليبدأ في مضغها وهو ينتفض ألمًا واشمئزازًا، الدم يسيل من فمه. وبعد أن مضغ قطعة منها أمسك بقطعته وحركها خطوة إلى الأمام ليقوم بعدها مهرولًا ليغسل فمه في حوض المياه، بعدما قام بإفراغ كل ما في معدته المسكينة.

أمسكت فيروز بورقها لتسحب ورقة «الحظ»، والذي حمل جملة «ابقَ في مكانك حتى الدور التالي»، فنظرت حولها باستياء.



ساعات قضوها في اللعب ولا يحدث شيء غريب أو مخيف لأحد منهم, حتى أتى دور سلمى, والتي كان نصيبها ورقة الحقيقة, والتي حملت سؤال «من يمتلك قلبك؟», في تلك اللحظة انقلبت الأعين جميعًا صوبها, فقالت بتوتر:

- مش.. مش فاهمة السؤال!

فضحك عبد التواب بصوتٍ عالٍ وقال بسخرية:

- إيه يا مدام سلمى؟ دا حتى الكارت مش بيلف ويدور وبيسأل ببساطة جدًا, مين بيملك قلب سيدة القصر؟

- ودي حاجة مش محتاجة سؤال.. قلبي ملكك.

وأمسكت بقطعتها لتحركها إلا أن القطعة لم تتحرك, وكأنها أصبحت بثقل جبل عتيد, نظرت حولها كمَن يتمنى لو أن الأرض تنشق وتبتلعها, فنظرت إلى عبد التواب وقالت:

- أكيد فيه حاجة غلط! اللعبة ما بتدخلش جوا النفوس!

- اللعبة اللي قادرة تقتل الروح قادرة برضو تدخل جواها..

- أنا يمكن أكون لـ...

إلا أن زياد استوقفها وقال في حرج:

- أعتقد إنك كدا بتحرجنا كلنا يا عبد التواب وبتضيع وقت على الفاضي!

- يا حبيبي وانت مين بس اللي قالك إن ورايا حاجة؟ أنا أصلًا فاضي.

- سلمى بتحبك.. طالما اختارتك يبقى انت اللي في قلبها.

- تفتكر سلمى ما دورتش عليك زمان؟ ما حاولتش بكل الطرق إنها تلاقيك من تاني؟



وقف ضياء وقال:

- زياد عنده حق يا عبد التواب.. انت كدا بتحرجنا كلنا, وفعلًا طالما سلمى اختارتك تبقى أكيد بتحبك.

زفز عبد التواب وقال:

- اللي تشوفه يا ضياء . . .

أمسكت سلمى بالقطعة مرة أخرى فتحركت بسهولة إلى الرقعة التالية, فقامت من مكانها وقالت:

- خلونا نكمل بكرة.. أنا تعبانة.. تصبحوا على خير.



باريس -١٩٩٩..



كان زياد في زيارته الأولى إلى متحف اللوفر رغم انتقاله إلى باريس منذ ثمان سنوات، لم يتوقع أن يستمتع بالتاريخ لهذا الحد، كم يتمنى لو أن تاريخه كان مختلفًا ومميزًا. خرج من المتحف مغتبط يحمل في يده كاميرا صغيرة كان قد ابتاعها منذ عدة أشهر، وقف في ميدان اللوفر يلتقط بعض الصور قبل ذهابه إلى المنزل حتى وجد أمام عدسة الكاميرا فتاة رائعة الجمال يعرفها جيدًا، سلمى!

دعك عينه مرارًا مثلما يفعلون في الأفلام لعلها تختفي، إلا أنها ظهرت أقرب وأوضح، لم تمهله الوقت ليستفيق من صدمته، فقط هرولت إلى حضنه وتعلقت بأذرعه بكل ما استطاعت من قوة وحنين، بدا شكلها أجمل كثيرًا الآن، أصبحت الطفلة التي يعشقها امرأة مكتملة الجمال. ابتسم في حب وهو ما زال غارقًا في عدم فهمه ليعاجلها بقبلة أنستهم فراق كل تلك السنوات الماضية. أخذ يدها وجلسا سويًا في أحد المقاهي التي يحبها زياد، مقهى café de flore يتبادلان نظرات طويلة، حتى قطعت هي الصمت الطويل وقالت:

- هتفضل تبحلق لي كدا زي اللي ناوي ياكلني؟

- أعذريني يا سلمى، أنا بس لسه تحت تأثير الصدمة. أنا لسه مش



مصدق إنك هنا.

- يا ترى صدمة حلوة ولا وحشة؟

- حاجة كدا شبه الصدمة اللي بتحصل للعيانين في المستشفى وبترجع لهم الحياة.

- انت كان لازم تبقى شاعر مش مزيكاتي يا زياد يا ابن أورفلي!

- je suis d'accord.

يعلم زياد جيدًا أن تلك المقابلة لم تحدث نتيجة الصدفة أو بفعل تدابير القدر, يعلم جيدًا أن سلمى تبحث عنه منذ أن ترك مصر ورحل إلى فرنسا, يعلم أنه لم يمت بداخلها ويعلم في قرارة نفسه أن تلك اللحظة الرائعة ستنتهي بعد قليل بكسر قلب حبيبته الوحيدة, يعلم أن بداخله هي ما زالت حبيبته, إلا أنها لم تعد ملكًا له.

- أنا مش عايزك تعيشي على أمل إني هرجع مصر, أنا مصر خلصت بالنسبة لكتاب حياتي.

- تقدر تقولي انت بتهرب من إيه كل السنين دي؟ بتهرب من جريمة انت ما ارتكبتهاش؟ بتهرب من ذنب مش ذنبك؟!

- عايزة تعرفي أنا بهرب من إيه؟ أنا بهرب من وش أيوب اللي بشوفه كل يوم وفي كل مكان. عايزاني أرجع تاني وبدل ما هبقى بشوف وشه هبقى كمان بسمعه وأتكلم معاه؟!

- طب وأنا يا زياد؟

- انتِ أجمل حاجة في دنيتي يا سلمى, بس انتِ نصيبك تعيشي مع حد متزن وسوي مش واحد بيشوف عفريت صاحبه.

ابتسمت بسخرية ولم تجب.

- أرجوكِ, سامحيني!



- انت جبان، وأوعدك إنك مش هتشوفني تاني أبدًا.

قامت من مكانها مندفعة في غضب، حاول زياد أن يتبعها إلا أن وجهها الغاضب ألجمه وأعاده إلى مقعده مرة أخرى.

في قصر عبد التواب، مساء اليوم التالي، اجتمعوا في نفس الغرفة، أمامهم اللعبة ذات العلبة السوداء، في أحد أركان الغرفة استقرّت المدفئة، حيث كانت قطع الفحم الصغيرة تُطقطِق في هدوء، مما أضفى على الجلسة المزيد من الهيبة والرعب.

سحب ضياء ورقة الحكم، والتي حملت جملة «ادفن نفسك حيا حيث يرقد الماضي»، وبلا تمهيد أمسك بلوح العلبة وألقاه في نيران المدفئة، قاموا جميعهم من أماكنهم ليشهدوا تلك اللحظة التاريخية، لحظة احتراق لوح اللعب بعد كل تلك السنوات، إلا ان ضياء بدأ في الصراخ بعلو صوته، وقع على الأرض وبدأ يتلوّى كثعبان مهزوم، بينما تخرج من جلده رائحة احتراق. تذكّر في تلك اللحظة زياد قانون اللعبة الذي كان يقول أن ما تفعله باللعبة يحدث لك، فمد يده مسرعًا داخل النيران لينتشل لوح اللعب، والذي لم يُصبه أي شيء بفعل النيران، وبعد ثوانٍ معدودة بدأ ضياء يشعر بتحسن حتى قال:

- كان يوم أسود يوم ما وافقنا نلعب اللعبة دي!

- ما قدامناش غير إننا ننفذ يا ضياء.

- ادفن نفسي إزاي بقى؟ يا ريت حد يفهمني! ويطلع إيه الماضي اللي هتدفن جنبه دا؟

زفر نصر في حزن وقال ناظرًا إلى ضياء:

- أعتقد اللعبة تقصد أيوب يا ضياء!

ثم أكمل وهو يحاول أن يُهدِّئ من روع صديقه:

- وبعدين أكيد مش هندفنك بجد يعني، هتنزل في حفرة وبعدين



هنطلعك.. ما تخافش!

- إحنا مجانين عشان لسه بنلعب اللعبة دي.. بس مافيش قدامي حل تاني.

بعد تفكير طويل، استقلَّ ضياء إحدى سيارات عبد التواب، والتي كان يقودها بنفسه، وفي الكنبة الخلفية جلس زياد وإلى جانبه نصر، قبل الإقلاع بالسيارة أعاد عبد التواب عليهم تحذيره مرة أخرى، وأخبرهم بأن أي محاولة للهرب سيكون الثمن عمرهم. كان الطريق إلى منزل عبد التواب القديم طويلًا، وما زاده طولًا كان الصمت المطبق الذي أحاط الأصدقاء الأربعة.

عند الوصول ترجَّل عبد التواب من السيارة ليفتح أقفال سور القصر، بمجرد دلوفهم شعروا ببرودة غريبة، كاد زياد أن يختنق إلا أن نصر أمسك بذراعه وابتسم له ليعيد إليه بعضًا من الثقة الضائعة. خطوات قليلة شعروا معها بأنهم مشوا دهرًا بأكمله، وقفوا تمامًا في نفس المكان الذي وقفوا فيه منذ ثلاثين سنة، حيث يرقد أيوب. غاب عبد التواب لدقائق ثم عاد وفي يده مجرفة وفأسًا، وناولهم لزياد ونصر وقال:

- إحنا هنحفر حفرة جنب أيوب، يقعد فيها ضياء شوية من غير ما نردم عليه طبعًا، وبعدها نرجع على القصر نكمل لعب.

لم يجبه أحد، إلا أنهم بدأوا في الحفر، بينما جلس ضياء إلى جانب عبد التواب على صخرة صغيرة يشاهد أصدقاءه وهم يحفرون له قبره وهو معهم حي يرزق.

- عمّال تطلع في الروح وانت بتحفر زي اللي عنده مليون سنة!

قالها زياد مداعبًا صديقه لتخفيف توتر ما يحدث، فضحك نصر قائلًا:



- ما بقاش غير المزيكاتي بتاع بلاد برّا اللي هيتريّق!

انتهى الثنائي بعد قليل من الحفر ليجلس بعدها ضياء في ذعر داخل حفرته, دقيقة مرت والأربعة في صمتٍ مخيف, حتى قطع سكونهم ضياء قائلًا:

- ها يا جماعة.. مش خلاص كدا ونرجع ولا هفضل قاعد في الحفرة الليلة كلها؟

مد له نصر يده ليخرجه إلا أن عبد التواب وضع يده على كتفه وقال مبتسمًا:

- إيه رأيك تاخد مليون جنيه دلوقتي يا نصر وتدفن ضياء في الحفرة؟

ضحك نصر في توتر وقال بصوت مهزوز:

- يا عم يلا نطلّع الراجل ونرجع.. بلاش هزار!

- بس أنا مش بهزر. اعتبره عرض غير الأمنية اللي هحققها لك.. نخليهم ٢ مليون؟

نظر نصر إلى صديق عمره الملقي في الحفرة وفي أذنيه صدى صوت عبد التواب بعرضه المغري الجذاب..

- طلعني يا نصر وسيبك من المجنون دا!

أمسك زياد بالفأس الذي يحمله نصر في يده ودفعه بعيدًا وقال في انفعال: فوق يا نصر! اللعبة بتخسّرنا روحنا, بلاش لعبة أكبر تخسّرنا بعض!

ضحك عبد التواب ودخل إلى سيارته لينتظر أصدقاءه .

في قصر عبد التواب جلسوا جميعًا مرة أخرى, تحركت قطعة ضياء للرقعة التالية. الدور التالي كان دور زياد في اللعب, والذي كان من



نصيبه ورقة "الحقيقة". والتي كتب عليها "مَن تتمنى موته كل ليلة؟". إلا أن عبد التواب لم يمهله الوقت ليجيب عن سؤاله, وقال:

- عشان ما تقولش إني بسبّب إحراج. أنا هعتبر إنك بتتمنى الموت ليا أنا.

- انت مش شايف إنك بتحب تعيش دور المضطهد دايمًا؟

- فكر فيها كدا يا صاحبي, كنت السبب في موت أعز أصدقائك, واتجوزت حب حياتك, بذمتك هتبقى عايزني أعيش؟ عمومًا, أنا فيه حاجة خبيتها عنكم زمان ولازم دلوقتي أقولكم عليها.. فاكرين قوانين اللعبة؟

نظروا جميعًا إليه في اهتمام ليقول أكرم كمَن يتذكر شيئًا ما:

- أنا فاكر إنك قولت وقتها إن اللعبة فيها قانون تاسع بس الورقة بتاعت القوانين كانت متقطعة أو متبهدلة, فما كنتش شايفه!

- شاطر يا أكرم, الفن خلّاك مصحصح للتفاصيل.. من ٣٠ سنة لما لعبنا اللعبة قولتلكم إن القانون التاسع مش واضح.. بعد سنين من لعبنا لقيت إن أبويا سايب في خزنتة في البنك القانون التاسع اللي كنا فاكرينه مش موجود!

ثم أخرج من جيبه قطعة ورقية صغيرة وقديمة فردها أمام أعينهم والتي حملت القانون التاسع:

«للعبة فائز واحد يفوز بموت الآخرين, تصبح اللعبة من بعدها لعنته وكابوسه, حتى يهديها إلى شخصٍ آخر كي يبدأ دورًا جديدًا بأشخاص آخرين».

أعاد الورقة إلى جيبه مرة أخرى وقال:

- أنا قولت لازم اللعب يبقى على المكشوف بقى, واحد مننا بس اللي هينجو من اللعبة. واحد بس اللي هيكسب كل حاجة, وهتبقى



اللعبة دي لعنته عشان يسلّمها للي بعده.

- مش فاهم! يعني واحد فينا بس اللي هيعيش؟ طب وموضوع الأمنيات؟ وهنكسب كلنا وكل اللي انت فضلت تقوله؟

- دي الحقيقة يا أكرم, أنا عايش بقالي سنين مستني أجمعكم عشان نلعب وكل واحد ياخد اللي مكتوب له من نصيبه وقدره. واضح إننا كان لازم نموت كلنا في البداية عشان نرتاح من كل العذاب د!.

قام زياد من مكانه وبدأ في تسديد اللكمات إلى عبد التواب في غضب, يكره زياد هذا الشعور, شعور الخداع الذي طالما كرهه, تمنى في تلك اللحظة لو أنه لم يقابل عبد التواب يومًا, تمنى لو أنه بالفعل مات في البداية مثل أيوب. قام نصر من مقعده ليفصل بين الاثنين وقال:

- اهدأ يا زياد! اللي بتعمله دا مش حل! لو سيبنا اللعبة ومشينا هنموت, ولو لعبنا هنموت برضو, بس على الأقل واحد مننا هيعيش.. وعشان كدا إحنا لازم نحط قانون خاص بينا في اللعبة.

أخذ نفسًا عميقًا ثم أكمل:

- اللي هيعيش أو اللي هيكسب يعني لازم يضمن للباقي عيشة كريمة لأهل كل اللي هيموتوا مننا, لازم من دلوقتي نحط النقط على الحروف عشان ما نبقاش ضيعنا عمرنا على لعبة وفي الآخر نخسر كل حاجة كمان.

نظرت سلمى إلى عبد التواب وقالت:

- نصر عنده حق, ضياء ونصر عندهم عيلة, فيروز عندها البيزنس بتاعها, زياد وأكرم أكيد عندهم حد بيحبوه ويهمهم الحد دا يعيش مرتاح لو يعني... أكرم تحب مين ياخد نصيبك لو خسرت؟

- أنا ماليش حد يا سلمى, كل حاجة عملتها وحققتها في حياتي كانت



عشان أكرم.. أكرم وبس! وعشان كدا أنا مش ناوي أخسر يا سلمى.

- وانت يا زياد؟

- أنا لو فعلًا ديب زي ما اللعبة بتقول يبقى القطيع بتاعي طول عمري هو أبويا وانتم, وبعد ما أبويا راح ما فضلش في القلب غيركم انتم الستة, وعشان كدا لو أنا مت فاللي هيعيش مننا ياخد نصيبي كله.

نظر إليهم عبد التواب بعينٍ دامعة, يحمل بين طيات مشاعره الكثير من كلمات الأسف والندم, إلا أن الصمت في تلك اللحظة كان أبلغ. استأذن منهم وعاد إلى غرفته ليستعد ليوم جديد قادم, يوم سيبدأون اللعب مرة أخرى ولكن بروحٍ أشرس, أكثر وحشية وضراوة, وفي داخل كل منهم نية "قاتل أو مقتول".



الإسكندرية - ١٩٨٩..



جلس الجميع في كابينة عائلة فيروز بالمنتزه يتناولن بعض الشطائر ويستمعون إلى صوت أمواج البحر وعمرو دياب وهو يغني قائلًا:

"دا أنا ماشي بخطى ومش بإرادتي كدا مش عارف ليه

مش بإيديا أبعد عنك يا اللي عيونك سر حياتي

حبك أقوى منى ومنك حبك آخر أمنياتي".

كان زياد منسجمًا مع الكلمات وهو ينظر إلى سلمى في حبٍ بالغ, يعلم في قرارة نفسه ورغم حداثة سِنه أنها حب حياته وعشقه الذي لن يتمنى يومًا لها بديل. نصر كعادته كان يتناول الشطائر ويتجرّع أكواب العصير في نَهمٍ شديد, طالما كانت شهيته مفتوحة سواء كان في حالة مزاجية جيدة أو لا. استوقفت كلمات الأغنية ضياء المفكر دائمًا في ما وراء كل شيء, وقال:

- طب عمرو دياب وآخر أمنياته حبها.. إيه آخر أمنية لكل واحد فيكم؟

نظروا إليه جميعًا ليُحاولوا فهم السؤال, فأعاد جملته ولكن بشكلٍ آخر:



- يعني لو كل واحد فيكم عارف إنه بكرة هيموت.. هيتمنى إيه قبل ما يموت؟

ضحك عبد التواب ذو الجسد النحيل وقتها وقال:

- أنا هتمنى أعيش ١٠٠ سنة..

- وأنا هتمنى أبقى عازف بيانو مشهور وأعمل حفلة يحضرها كل الناس, وأموت وأنا بحيي الجمهور على المسرح..

قالها زياد وهو مغمض عينه متخيلًا المشهد, فابتسمت سلمى وقالت:

- لو بكرة هموت هتمنى إني أكون مع الناس اللي بحبهم وبس.

- وأنا هتمنى إني ما اموتش أبدًا..

قالها أيوب مرتعدًا من الفكرة نفسها, فقال له ضياء:

- انت كدا بتبوظ قوانين الحكم بس ماشي هعديها لك.. وانت يا أكرم؟

- أنا هتمنى إن كل الناس تبقى عرفاني وينزلوا خبر وفاتي صفحة أولى في الجرايد.

سرح ضياء قليلًا ثم قال وهو ينظر إلى أمواج البحر:

- أنا هتمنى إن يبقى عندي مركب كبيرة جدًا ألِف بيها العالم كله في يوم.

فضحكت فيروز معجبة بالفكرة:

- أنا بقى عايزة زي ضياء, بس ألِف الدنيا في طيارة.. الموت فوق السحاب هيبقى رومانسي أوي.

ثم نظروا جميعًا إلى نصر الذي كان ما يزال منهمكًا في أطباق



الطعام منتظرين إجابته, فقال والطعام يملأ فمه:

- سيبوني أخلّص الكام طبق دول وأوعدكم بعدها هتمنى أمنية.

فضحكوا جميعًا على صديقهم الذي لا يفكر سوى بالطعام كعادته.

في الليلة التالية, جلسوا في الغرفة المعتادة ليستكملوا اللعب. سحبت فيروز ورقة «الحكم» والتي حملت جملة «اصنع في جسدك خمسين جرحًا», ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تنظر إليهم والخوف يبتلع كلماتها:

- خمسين جرح إزاي؟ أنا كدا هتشوّه أو هموت!

- انتِ عارفة القوانين يا فيروز.. يا الجروح يا الموت!

قال عبد التواب جملته وكأنه يستمتع بخوفهم, إلا أن زياد فكّر قليلًا وقال:

- اللعبة ما حددتش نوع الجروح, فبالتالي هتكون جروح سطحية. ثانيًا خلّي الجروح دي في أماكن مش ظاهرة وهتلم بسرعة, يعني رجلك أو بطنك أو حتى ضهرك.

بلا تفكير, أخرجت فيروز من حقيبتها مقصًا صغيرًا وبدأت في جرح قدميها وفخذيها ببطء شديد, مع كل طعنة كانت تئن في ألم, مشهد الدم وهو يسيل من جسدها النحيل كان مهيبًا, سلمى تبكي بحزن على ما حُكم به على صديقتها, وزياد يمسك في يده بعض أدوات الإسعافات الأولية ليُطيب جرحها فور أن يكتمل الخمسون جرحًا.

جلس الباقون حولها يشاهدونها وهي تُمزق لحمها دون أن ينطق أحد منهم, كانوا يشاهدونها كمَن يشاهد مباراة لمصارعة الثيران, المدرب يمزق لحم الثور, إلا أنه في تلك الليلة لم يكن الجمهور يهتف ولا يُهلل.

عندما اكتمل عدد الجروح ألقت فيروز بالمقص الغارق في الدماء



من يدها وسقطت على الأرض مغشيًا عليها بفعل الصدمة, كان جسدها ينتفض, حملها زياد ونصر إلى إحدى غرف النوم وعادوا إلى غرفة اللعب.

- أنا شايف إننا نكمل بكرة لما فيروز تبقى كويسة.

- مافيش مشاكل. اللي محتاج أي حاجة يقدر يطلبها من مشكور.

اتجه كل واحد منهم مرة أخرى إلى غرفته كالليالي السابقة, إلا أن زياد ذهب ليجلس قليلًا أمام حمام السباحة لينعم بسيجارة ينفث معها غضبه وحزنه, وظل ضياء في مكانه يطالع اللا شيء في السقف.

بعدما دخل نصر إلى غرفته قرر أن يعود مرة أخرى إلى ضياء لتوضيح أمرًا وجد أن من الأفضل توضيحه. اقترب من صديقه وجلس إلى جانبه في شيء من الخجل وقال:

- أنا مستحيل كنت هعمل كدا يا ضياء..

- اللي شوفته في عينك ما كانش مستحيل.. اللي شوفته في عينك كان يمكن.

- عارف يا ضياء.. أنا عمري ما فكرت أكون إنسان شرير, عمري حتى ما فكرت إني أنتقم من اللي كان السبب في خسارة شغلي ومستقبلي, يمكن الناس من برّا تشوفني إنسان سلبي وجبان, بس أنا بقالي سنين عايش في سلام نفسي راضي عنه بشكل كبير, ويمكن التحول اللي حصل في حياتي مش وحش أوي زي ما أنا حاسس.

- طول عمرك أطيب واحد فينا يا نصر, وإحنا صغيرين كنت بتحب تساعد الكل وتفرح الكل, حتى عبد التواب لما كان بيسخّف عليك بطريقته المعتاده كنت بتتعامل معاه بكل ود وحب.

- زي ما قولتلك يا ضياء, أنا عايش في سلام نفسي, بس أنا برضو مش عبيط ولا مغفّل, وعشان كدا أنا عايز آخد منه اللي هيخلي



مراتي وعيلتي ملوك سواء كسبت أو خسرت.. لازم أضمنلهم حياة يستاهلوها.. وخصوصا مراتي.. انت مش فاهم الست دي طلعت أصيلة إزاي يا أخي!

- عندك حق, لو اليومين دول هما آخر أيام عمرنا زي ما اللعبة بتقول يبقى لازم نستفيد صح.

***

أمام حمام السباحة, جلس زياد يُدخن سيجارته الرابعة. سنوات وهو يتجنب التدخين بشراهة, سنوات وهو يعيش للفن والبيانو فقط. بعد عامه الثاني في باريس, استطاع أن يشتري بيانو مستعمل من طراز البيبي جراند, كان يقضي ساعات يومه في العزف عليه, كان يُحدثه ويشكيه ويحكي له كثيرًا عن سلمى. كان يرى حياته مثل مفاتيح البيانو الذي يعشقه, مفاتيح سوداء تُمثل أحزانه ولحظات ضعفه, ومفاتيح بيضاء تمثل لحظات السعادة والانتصارات. ظل لسنوات يعزف على اللونين ليخرج مقطوعات تجبره على الحياة, إلا أن بعودته الآن تحطمت جميع المفاتيح.

فتح علبة سجائره مرة أخرى ليلتقط سيجارة أخرى, إلا أن يدًا استوقفته وسحبت منه العلبة في حنان وقالت مبتسمة:

- ما بقتش صغير انت على السجاير اللي عمّال تحرق فيها دي!

ابتسم زياد في حزن وقال:

- je m’en fous.. وبعدين ما انتِ طول عمرك بتشربي معايا, ولا نسيتِ؟

- الكلام دا عدى عليه أكتر من تلاتين سنة يا راجل يا عجوز!

- عبد التواب لو شافك أعتقد مش هيبقى مبسوط يا سلمى.

- تفتكر عبد التواب اتجوزني عشان بيحبني يا زياد؟ عبد التواب



هيعيش ويموت ما بيحبش غير عبد التواب وبس، هو عمل كدا عشان ما كانش حابب يشوف حاجة مع غيره مش قادر يمتكلها.

- وانتِ قابلة تعيشي حياتك كدا؟!

- لا يا زياد.. بس أنا كل الحلول كانت خلصت لما سيبتني أروح منك للمرة التانية، والنتيجة في الآخر إننا كلنا هنموت من اللعبة اللي فرقتنا زمان.

- لو كنت عارف إن النتيجة هتبقى كدا ما كنتش سيبتك.. يمكن العزاء الوحيد إني هرتاح أخيرًا.

***

في غرفة نومه، وقف أكرم في مرآته ينظر إلى انعكاس هذا الكهل الذي لامس بقدميه خط الخمسين، يستعيد انتصاراته ونجاحاته، يستعيد تلك اللحظات التي شعر معها بأنه حقًا يمتلك العالم بأسره، يتردد في أذنيه صرخات المعجبين فور ظهوره في أي مكان، ولكن كل ما يراه الآن بقايا مُهشمّة لهذا الفنان.

وقف ينظر إلى نفسه في أسى وهو يرى مشاهد سريعة لمشواره الفني وتهافت المعجبين عليه في كل مكان. كم هو مؤلم ذلك الشعور الذي يجعلك تلجأ للفُتات بعدما امتلكت من قبل الغنيمة بأكملها! في يومٍ ما ظن أن كثرة الأضواء تعمي، الآن فقط أدرك أن وحده الظلام هو ما يسبب العمى.

خرج أكرم من الغرفة منتفضًا ودخل على عبد التواب غرفة مكتبه وقال في غضب:

- أنا لو خسرت عايزك تعمل فيلم عن قصة حياتي!

***

كقط شارع خرج للتو من معركةٍ شرسة، نزلت فيروز من سلم القصر



وهي تترنّح في ألمٍ وجسدها كله محاط بضمادات الجروح, كان عبد التواب في انتظارها على طاولة الطعام يحتسي الشاي ويبتسم لها في ود:

- أتمنى تكوني كويسة دلوقتي! ما رضيناش نكمل لعب من غيرك.

- انت مريض يا صديقي.

- عمر حب المكسب ما كان مرض يا فيروزة.

- انت ما عندكش حب مكسب.. انت عندك هوس. بس للأسف مش هتلحق تتعالج عشان أنا هبقى حريصة جدًا على إنك ما تكسبش.

- تفتكري إنك هتكسبي؟

- مفيش خنزير بيكسب ساحر يا عبد التواب.

***

حلَّ المساء, وبدأ اللعب, الجميع في تأهب يتخللهم شعور متضارب ما بين الرغبة في إنهاء اللعب وتمنيهم الحياة لأطول فترة ممكنة, أوراق اللعب بين أيديهم تقل, نفد منهم جميعًا أوراق الحظ والذي لم يحمل لأي منهم الحظ الذي تمنوه, فقط خطوة إلى الأمام لبعضهم وخطوة إلى الخلف للبعض الآخر, إلا أن قرارًا كهذا لم يظهر أي مؤشر لاقتراب أحدهم من الفوز, حتى سحب ضياء ورقة «المواجهة» والتي حملت جملة «ستواجه خوف الفقد وتختار من تفقد». نظر ضياء أمامه ليجد زوجته وأولاده الثلاثة, انتفض ضياء لرؤيتهم, كانت أعينهم مخيفة, بؤبؤ العين والقزحية لونهما أبيض تمامًا, أخرجت زوجته من حقيبه يدها سكينًا حادًا وناولته لضياء وقالت: اختار حد مننا إحنا الأربعة واقتله يا ضياء!

اقترب منها ضياء وحاول ملامستها إلا أنها كانت أشبه بالضباب, وكأنها غير موجودة, كأنها مجرد مجسم هولوجرام لزوجته وأولاده, نظر



إلى زوجته والدموع تنهال من عينه وقال:

- حبيبتي، أنا مستحيل أقدر أخسر حد منكم.. انتم حياتي كلها!

- انت لازم تختار يا ضياء.. يا هتختار يا هتموت يا حبيبي!

- انتم.. انتم إزاي هنا؟ أنا مش فاهم حاجة!

- إحنا زي ما إحنا في ألمانيا.. بس اللي هتختاره مننا هيموت هناك.

نظر ضياء إلى أصدقائه وهو ينتحب وقال ناظرًا إلى عبد التواب: خلي بالك عليهم.

أنهى ضياء كلماته الثلاث ثم وضع السكين بأكمله داخل رقبته، فور أن سقط جثة هامدة اختفت زوجته وأولاده من أمامهم أيضًا، جرى جميعهم عليه يحاولون إسعافه إلا أنه كان قد مات بالفعل، الجميع يحاول أن يفعل أي شيء لإنقاذه إلا صاحب القصر، لم يتحرك عبد التواب من مكانه ولم تظهر عليه حتى آثار حزنٍ أو ألم.

انتهت الليلة بموت ضياء، الذي تمنى كثيرًا العودة إلى مصر، إلا أنه لم يعلم بأن عودته ستأتي معها نهاية حياته.



الإسكندرية – ١٩٩٠..



وقف ضياء أمام مطعم استريا بشارع صفية زغلول ينتظر الطلب, بينما وقف عبد التواب وزياد ينتظرانه أمام سينما مترو والجوع يلتهم بطونهم الجائعة.

- حجزتوا فيلم إيه؟

- يرقص مع الذئاب.. أكرم ونصر دخلوه امبارح بيقولوا عليه جنان.

- مش قولتلك تحجز فيلم كابوريا يا عبد التواب! طب مانتش واخد البيتزا بتاعتك..

ضحك زياد وهو يعدل شعره الناعم إلى الوراء وقال:

- هات بس بيتزا الجمبري الحلوة دي واتخانقوا براحتكم بعدها.

- ده بيقولك كابوريا يا زياد بك! والله الواد ضياء دا مش نافع في حاجة ولا بيفهم حاجة.

- بكرة نشوف مين فينا اللي هيطلع بيفهم يا عبقري زمانك.

***

بعد شروق الشمس, قاموا بدفن ضياء في حديقة القصر مثلما فعلوا



في الماضي، نصر اعتصر الحزن قلبه لكونه آخر مَن تحدث معه، زياد يشعر وكأنه يعيش كابوسًا لا يستيقظ منه، أكرم بدى شاحب اللون من أثر الصدمة، لم يقل شيئًا، سلمى وفيروز تُتَمتمان ببعض الآيات القرآنية، وعبد التواب في مكتبه يتجرع كؤوس الخمر، لا يختلف تمامًا عن قطعته.

في مساء هذا اليوم، كانت ورقة الحكم الخاصة بأكرم تحمل جملة مبهمة بعض الشيء: "تذوق الموت ولا تمت».

- واضح إن اللعبة ناوية تنافس نيللي وشيريهان في الفوازير!

إلا أن أحدهم لم يضحك على تلك الدعابة، لم يكن في قلبهم ما يكفي من الحياة ليضحكوا على أي شيء.

- أعتقد اللعبة تقصد إن يبقى بينك وبين الموت لحظات وتلحق نفسك في الآخر.

- ودي تتعمل إزاي؟

تنهد عبدالتواب وقال مفكرًا:

- إحنا محتاجين نبدأ نفكر زي ما اللعبة بتفكر.

- والله يا أخي دا كان يوم أسود يوم ما جينا عيد ميلادك وقولنا نلعب!

- اصبر بس يا أكرم.. أنا قصدي إن اللعبة بتفكر دايمًا في طرق التعذيب اللي فيها دم، يعني نصر صباعه اتقطع وفيروز عذبت جسمها، فبالتالي عايزين نفكر في طرق مافيهاش دم.. بلاش نخلي اللعبة تقتلنا بالبطيء.

هز زياد رأسه موافقًا وقال:

- رغم إنه السبب في كل المصايب دي، بس عبد التواب عنده حق..



بلاش نعمل ليها spectacle.

عاد أكرم برأسه إلى الوراء مفكرًا في الطريقة التي سيتعرّف بها على الموت علاقة سطحية, ثم قال بعد تفكير:

- زمان, عملت فيلم اسمه الانتقام الأخير, في نهايته البطل أنقذ البطلة من الشنق في آخر لحظة, أعتقد دي هتبقى لطيفة.

- عمري ما تخيلت إن كلمة شنق وكلمة لطيفة يتجمعوا في جملة واحدة!

قالها نصر متعجبًا.

- أنا هعلّق حبل في السقف, هعمل عقدة وأعلق راسي منها وأقف على كرسي خشب ولما أشاور بإيدي شيلوا الكرسي, وبعد ٣٠ ثانية بالظبط ترجعوا الكرسي تحت رجلي تاني.

- تمام يا أكرم.. ٣٠ ثانية؟

- ٣٠.. أكتر من كدا الضغط على الشرايين هيوقف الدم تمامًا إنه يوصل لمخي وهموت.

وقف عبد التواب إلى جانب الكرسي الخشبي وقال ناظرًا إلى أكرم:

- أنا هقف بنفسي جنب الكرسي.. ما تقلقش يا أكرم.

ابتسم زياد لأكرم في شفقة ثم خرج ومعه الباقون من الغرفة, يعلمون جيدًا أن حكمًا كهذا لن يستطيعوا مشاهدته, جلسوا جميعًا في الغرفة المجاورة وهم يحسبون الثواني سويًا, عشرة, عشرون, ثلاثون.. أربعون.. لم يسمعوا شيئًا, ولم يعد عبد التواب ولا أكرم إلى الغرفة مرة أخرى.

قام زياد من مكانه وهو يركض إلى الغرفة التالية, يشعر بشيء من الغباء لتركه أكرم مع عبد التواب, وبالفعل كان يتلوى في الهواء وعبد



التواب ينظر إليه بجمود مثير للاشمئزاز. دفعه زياد بعيدًا بقوة فتعثّر في قدميه الجديدتين ووضع الكرسي في الحال لأكرم, ومن ثمَّ قام نصر بمساعدته في انزاله.

لحظات مرت وهو إلى جانبهم جثةً هامدة, إلا أن فجاءة قام من مكانه شاهقًا ليبدأ في سعالٍ لا ينقطع, احتضنه زياد باكيًا في سعادة, فربَّت أكرم على كتفه وهو يعدل من جلسته ثم نظر إلى عبد التواب وقال:

- كل واحد له نصيب من قطعته يا صديقي.. وأنا قط يا عبد التواب.. بـ سبع أرواح.. ..hard luck

- أنا... أنا بس ما عرفتش أنزلك لوحدي يا أكرم.. مستحيل أفكر أعمل فيك حاجة وحشة!

- بس أنا هعمل يا عبد التواب...

***

في صباح اليوم التالي, جلس نصر على أحد مقاعد الصالون وبدأ في كتابة بعض الأوراق, وبعدها طلب من الجميع الحضور, شرح لهم نصر فكرته بسهولة, ألا وهي تنازل عن كل شيء من عبد التواب أباظة إلى حامل هذا العقد, ثم قال:

- يعني من الآخر كدا اللي هيعيش هياخد كل حاجة بيمتلكها عبد التواب.

- طب ولو أنا اللي كسبت يا نصر؟!

سأل عبد التواب في استنكار.

- لو كسبت هتبقى حاجتك ملكك, ومبروك عليك الأمنية اللي هتحققها لك اللعبة.



- طيب يلا نكمل..

- قادر تكمل يا أكرم؟

سأله زياد, فابتسم أكرم بتحدٍ لعبد التواب وهزَّ رأسه بالإيجاب.

أمسك عبد التواب بأوراقه السوداء التي تتشابه كثيرًا مع لون روحه, وسحب ورقة «الحقيقة», والتي كان سؤالها: «اكشف للاعبين عن أقذر أسرارك».

خرجت من أكرم ضحكة لم يحاول أن يكتمها فور سماعه لمحتوى الورقة, أصبحت اللعبة بالنسبة إليه الآن هي عبد التواب, أصبح هو منافسه الوحيد. في قرارة أنفسهم جميعًا يعلمون أن بلا شك شخصًا مثل عبد التواب لا بد وأنه يحمل بين دهاليز حياته الكثير من الأسرار, بل وربما الكثير من الفضائح, ولو أن عائلة أباظة كان غناهم بطريقةٍ شريفة في الماضي, فبالتأكيد ما أضافه عبد التواب من ثروات وأموال لم يضفه بشرف ولا نزاهة.

- مستنيني أقول إيه؟

- والله دا دورك.. انت اللي هتلعب وانت اللي هتكسب نقطة أو تخسرها.

سكت لبرهة ثم قال:

- في سنين حياتي ظلمت ناس كتير وأذيت ناس كتير.

أمسك بقطعته إلا أنها لم تتحرك, لم تكن تلك الإجابة التي تنتظرها اللعبة.

- تفتكر اللعبة بالسذاجة دي يا عبد التواب؟ اللعبة عملانا لعبتها وعشان كدا لازم تتسلى بينا لحد آخر لحظة.

- بعد ما لعبنا اللعبة بكام سنة, بدأت بالتدريج أتحول لقطعتي, زي



ما وريتكم قبل كدا, التحول اللي حصل في رجلي, بقيت بميل لعدم النظافة الشخصية إلا إن سلمى كانت دايمًا بتاخد بإيدي وتساعدني إني أحتفظ ولو حتى بجزء من آدميتي, خلال سنين بحارب الوقت والزمن حرفيًا, بحارب كل الأفعال الشاذة والغريبة اللي بتخرج مني عشان أفضل محافظ على إمبارطورية عيلة أباظة, بقى مش فارق معايا الطريقة اللي هكسب بيها طالما هكسب أكتر, بقيت مسخ, مافيش حاجة بتوقّفه, كنت بعد السنين عشان التلاتين سنة يعدوا وأرجعكم من تاني, مؤخرًا بقى عندي مرض نفسي غريب اسمه EHS, بقيت بسمع أصوات مزعجة جوّا دماغي بتخليني عايز أقتل نفسي, في البداية كان الصوت يشبه الطنين بعدها تدريجيًا بدأ يعلى لحد ما بقى حرفيًا صوت صريخ .

- كل اللي حكيته دا ما اعتقدش إنه قذارة زي ما انت بتقول يا عبد التواب!

- لسه ما خلصتش يا زياد. روحت لدكاترة كتير ومافيش علاج ريحني, إلا العلاج اللي اكتشفته بنفسي, أنا مش برتاح غير لما بقتل, بيجيلي نوبات صرع قوية مش بتهدى غير بمشهد الدم وصوت الرصاص. وعشان كدا حد من رجالتي كل أسبوع بيجيب لي كلب من الشارع عشان أقتله وأتفادى نوبة الصرع والألم.

- انت حقيقي معدوم الضمير والإحساس يا عبد التواب!

- كل واحد فينا حياته ليها ظروف مش الكل هيفهمها ويستوعبها.

قالتها فيروز في غضب, إلا أنه لم يُعرها أي اهتمام وحرك قطعته إلى الرقعة التالية. ساعات مرت من تلك الليلة حتى قارب النهار على البزوغ وشعروا جميعًا برغبةٍ في النوم.

***

في مساء اليوم التالي, كان الدور التالي هو دور أكرم, والذي كانت



ورقته هي ورقة "الحكم"، ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقرأ ما كتب على الورقة:

" مَن على يمينك هو قاتلك أو ضحيتك. الاختيار لك".

نظر أكرم بطرف عينه إلى اليمين ليجد نصر ينظر إليه في ترقب، نصر كان دومًا الصديق الأمثل للجميع، دائم الابتسام، ينشر طاقة إيجابية لا تنتهي ولا تستنفذ، ويعلم جيدًا قيمة الصداقة في حياته..

حتى أتى يوم تبدل فيه كل شيء وتفرق الجمع، فأصبح من بعدها نصر صديق خيباته المتكررة فقط.

- اللعبة قلبت جد يا نصر ويا هتقتلني يا هقتلك!

قام أكرم من مقعده وبدأ في النظر إلى أعينهم، يتحاشون النظر إليه لأن كل ما سيرونه هو قاتل أو الأسوأ.. مقتول، ابتسم لهم أكرم وقال ناظرًا إليهم جميعًا:

- أنا طول عمري بحب الحياة جدًا وبعيش كل يوم زي ما يكون اليوم الأخير، وبصراحة عمري ما عملت حساب للحظات الضعف أو الفشل ولا حتى لحظة الموت، يمكن لأني بقيت بشوف كل حاجة تمثيل، حتى الموت بشوفه تمثيل، وأول ما المخرج بيقول Cut الميت بيصحى والكل بيسقف، أول مرة الموضوع يقلب جد كدا!

ابتسم أكرم وهو يربّت على كتف نصر وقال مبتسمًا:

- بس الواد نصر دا كان من الحاجات القليلة زمان اللي مش تمثيل، كان دايمًا بيدافع عني في المدرسة ويضرب أي حد يسخّف عليا، اللعبة يمكن تكون اختارت له الغراب، بس أنا طول عمري بشوفه نسر بيطير عالي ويضلل عليا وياخد باله مني.

زفر عبد التواب في ضيق وقال متسائلًا:

- قرارك إيه يا أكرم؟



- في السينما المألوفة اللي بيحبها كل أفراد الأسرة, الخير دايمًا بينتصر على الشر, وفي حياتي ما شفتش شخص بيمثل الخير أكتر من نصر. ولأني من أنصار السينما الطيبة دي لازم أخلي نصر هو اللي يعيش.

- مستحيل يا أكرم! انت أخويا!

- أنا لو مُت الناس اللي بتحب أفلامي هيزعلوا شوية وبعدين هينسوني, احتمال يدعوا لي لو شافوا لي فيلم بيحبوه, بس هبقى مجرد فنان راحل, بس انت عندك مراتك اللي بتحبك ومستنياك ترجع لها بفارغ الصبر. مستحيل أحرمها منك, مش هبقى أناني في حاجة زي دي يا صاحبي.

مرَّ أكرم عليهم جميعهم ليصافحهم, وعندما أتى دور عبد التواب ليُسلم عليه, تراجع أكرم إلى الخلف باشمئزاز وقال:

- أتمنى من كل قلبي إن مش انت اللي تكسب يا أباظة.

لم يجبه عبد التواب ولم يفعل سوى أن أخرج من جيبه مسدسه وناوله لنصر الذي كان يبكي في صمت, اقترب أكرم منه واحتضنه وقال له هامسًا:

- فضِّي الخزنة كلها.. ما تنساش إن القطط بسبع أرواح ومش بيموتوا بالساهل.

ثم غمز له وهو يستقبل الموت بترحاب شديد.

انتهت ليلة شيطانية أخرى بموت أكرم. دلف كل واحد إلى غرفته إلا أن أحدهم لم يذق النوم تلك الليلة, جميعم ظلوا بأعين مفتوحة خشية أن تزُرهم روح أكرم تلك الليلة.

***



قبل شروق الشمس، خرج زياد ليتمشّى قليلًا في الحديقة، ليجد نصر جالسًا على أحد المقاعد دافنًا رأسه بيده ويبكي في ألم، انتفض عندما رأى زياد إلا أنه أفسح له مكانًا بجانبه ودعاه للجلوس بإشارة من يده.

- عايزك توعدني وعد يا زياد..

- طبعًا يا حبيبي.. أي حاجة!

- لو ما طلعتش من القصر دا عايزك تاخد بالك من شيماء مراتي.. بت جدعة ومالهاش حد غيري.

- عارف يا نصر إني بحسدك عشان عرفت تعمل اللي أنا ما عرفتش أعمله! والله يا أخي كان نفسي يبقى عندي حد ألاقيه مستني رجوعي البيت آخر كل يوم، نتخانق على مصروف البيت وأصالحها بورد.

- لا شيماء حاجة تانية.. مش بتتصالح غير بكيلو كفتة وطرب..

ضحكوا سويًا رغم حزنهم على أكرم وضياء، إلا أنهم قرروا أن يبدأوا يومًا جديدًا بأملٍ قد لا يأتي.

- ضحكتني يا نصر.. بس والله بكلمك بجد، أنا عرفت ستات من كل بلد في الدنيا دي، فيه اللي قعدت معاها شهر واللي عرفتها ليلة، فيه اللي حبيتني وفيه اللي سرقتني، البيضا والسمرا وحتى اليابانية، بس دايمًا فيه حاجة ناقصة.. الحواديت دي كان ناقصها دفا.

ابتسم نصر وفتح له ذراعيه وقال وهو يحتضنه:

- تعالى يا عم خد شوية دفا.. هتلاقي منه كتير عندي دا.

في المساء جلسوا كعادتهم في غرفة الموت كما أسماها زياد، إلا أنهم كانوا أقل عددًا الآن، عبد التواب في مقعده الوثير الضخم يدخن سيجارًا كعادته، سلمى تنظر إلى اللا شيء بأعين فقدت الشغف في الحياة، نصر يُحرك ما تبقى من أوراقه في حركة دائرية، فيروز تضع أحمر شفاه في صمت، وزياد يراقب الجميع وهو يرتشف ما تبقى من



قهوته والتي تشابهت مرارتها مع حياته.

أوراق الجميع على وشك الانتهاء, ولا زال الفائز لم يظهر بعد, لا يشعر أي منهم بفوزٍ قادم أو حتى شعور بالتفاؤل بأي شكل من الأشكال, سحب نصر ورقة المصير الخاصة به والتي كتب عليها «التهم يدك اليمنى لتكسب اللعبة".

شعور متناقض بين فرحة وخوف, كيف له أن يلتهم يده؟ هل تحاول اللعبة أن تحولهم إلى وحوش يأكلون لحمهم؟ ولكن إذا فعل هذا سينتصر وهو لا يطيق الانتظار ليفوز ويعود مرة أخرى إلى شيماء, سيعود إليها ويتحمل صوتها العالي, سيتحمل أقنعة الزبادي التي تضعها على وجهها, سيتحمل نوبات غضبها المتكررة, سيجد سعادة الدنيا بأكملها في تفاصيلها ولن يتذمر مرة أخرى من أي شيء تقوله أو تفعله, سيعود إليها وهو يحمل أموالًا لا حصر لها ليعوضها عن سنوات طويلة من الفقر وقلة الحيلة.

بدأ نصر في قضم أصابعه, إلا أن خوفه وفطرته جعلت الأمر أشبه بالمستحيل, بدأ يضغط بكل قوة بأسنانه حتى بدأ يخترق لحم يده وهو يئن في ألم, الكل ينظر إليه بعيونٍ دامعة لا يستطيعون مساعدته بأي طريقة سوى الانتظار, بعد محاولات عديدة قام بخلع لحم إصبع الإبهام وهو ينتحب في وجع, المرحلة الأصعب كانت التهام العظام, تلتحم أسنانه بعظام يده فيسمع الجميع صوت تهشم ضروسه, يبصق الدم والأسنان وهو ما زال يحاول أن يلتهم يده.

عندما انتهى من الإصبع الثاني كانت بالفعل كل أسنانه قد تحطمت تمامًا, تقطعت شفتاه وتشوهت ملامحه, بدأ يعض على أصابعه ولكن بلا جدوى فلا يوجد ما يساعده على القطع في فمه, بدأ ينظر إلى الدماء ويستوعب ما يحدث ليسقط أرضًا ميتًا بالسكتة القلبية.

احتضنه زياد باكيا يصرخ في ألم, لا يستوعب أنه كان يحتضنه منذ



ساعات وهم يضحكون, الآن خسر صديقًا وأخًا آخر وهو لا يمتلك سوى دفنهم.

- إحنا لازم نوقف لعب وندفن نصر ..

- أنا فاضل لي ورقة واحدة.. نلعبها وبعدين نشوف.. يا هكسب يا هتدفني مع نصر يا زياد.

سحب عبد التواب ورقته الأخيرة, ورقة المصير وهو يشعر بانتصار قادم لا محالة, يعلم في قرارة نفسه بأنه يتوجب عليه الفوز مهما كان الثمن, لا يهمه الآن سوى أن تنتهي اللعنة, كُتب على الورقة بأن مصيره أن يحيا وحيدًا بلا شريك, سكت للحظة يحاول أن يستوعب معنى الورقة حتى لمعت عينه, اللعبة تريده أن يتخلص من سلمى, هي شريكة حياته الوحيدة, ظهر على شفتيه شبح ابتسامه, في قرارة نفسه يعلم أن سلمى لن تتردد لثوانٍ عن قتله إن انقلبت الآية, ستُنهي حياته بلا تردد أو ندم, يخبر نفسه كل ليلة أن سلمى لا تحبه, سلمى لا تريده, تكره أنفاسه ورائحته وهيئته, تكره جسده غير المتناسق, تكره قدميه الملعونتين, تكره حتى ابتسامته إن يومًا ابتسم لها عن طريق الخطأ. بكل بساطة أخرج من جيبه مسدسه وصوّب فوهته إلى وجه سلمى وقال لها:

- ما تزعليش مني يا سلمى!

إلا أن زياد عاجله بإمساك يده ودفعه بعيدًا, صوّب عبد التواب مسدسه إلى جسد زياد لتخرج منه رصاصة اخترقت كتف زياد الأيسر, إلا أنه لم يكترث للألم وقام بكل قوته بدفع عبد التواب ليقوم بالانقضاض عليه وسحب المسدس من يده, ارتعد عبد التواب لرؤية سلاحه في يد زياد, يعلم أن أي حركة غبية منه قد يكون نتيجتها سيئة للغاية.

- قوم اقعد على كرسيك!



- اهدا يا زياد.. انت كدا في حكم الغشاش!

- الغشاش هو اللي يلعب لعبة موت مع صحاب عمره من غير ما يفكر في العواقب.

- سيب السلاح من إيدك وهديلك اللي انت عايزه.. سلمى لازم تموت.

- لو فيه حد هيموت النهاردا هيبقى انت ..

شعر زياد بحركة غريبة تحدث خلف ظهره، نظر وراءه ليجد فيروز تقترب منه وفي يدها سكين صغير كانت قد خبأته من طاولة الإفطار هذا الصباح، قام من مكانه مسرعًا ليتفادى طعنتها ثم عاجلها بلطمة على وجهها أسقطتها أرضًا.

- واضح إن مش بس عبد التواب اللي عايز سلمى تموت يا فيروز!

- ما تضحكش على نفسك يا زياد.. بلاش دور الرومانسي الغلبان دا تفضل عايش فيه عشان ما حدّش مصدقه.

- سيبك من دور الرومانسي يا فيروز.. احكي لنا انتِ عن دور الصاحبة الجدعة شوية!

- وقت الموت مافيش حد بيبقى جدع وحد بيبقى وسخ.. وقت الموت الكل بيبقى واحد

- كان نفسي اللعبة ما تخلصش كدا.. واللي هيموت يموت بشرف.

ضغط زياد على الزناد لتستقر رصاصة في جمجمة فيروز، ثم أطلق عياره الناري مرة أخرى في قلبها الذي لم يعرف الحب يومًا. ثم نظر مرة أخرى إلى عبد التواب والذي كان يلهث في خوف وارتياع وقال له:

- مبروك يا عبد التواب.. حولتنا لمجرمين يا صاحبي.



- خلينا نلاقي حل.. أوعدك مش هقتل سلمى..

- انتهت اللعبة بالنسبة لك.

بوهن شديد، مدَّ عبد التواب يده أسفل مقعده ليُخرج سيفًا ضخمًا كان يومًا ملكًا لعائلته.

- لسه عايز تحارب الموت؟

- السيف دا مش ليك يا زياد.

قام بخلع حذائه بصعوبة ليكشف عن قدمي الخنزير، ثم بدأ في تقطيع المنطقة المصابة منها بكل ما استطاع من قوة، الدماء تسيل من قدميه بلا هوادة، يبكي بحرقة من أثر الألم ، تتصبب جبهته عرقًا فتتألم عينه من ملوحة العرق، إلا أنه لم يكترث وأكمل التقطيع، يرفع يده عاليًا مرارًا وتكرارًا وينهال على قدميه يمزقهما، يفصلهما حتى انتهى تمامًا، نبضات قلبه يكاد صوتها يرجّ الغرفة، ورغم كل شيء إلا أنه نظر إلى قدميه المقطوعتين بانتصار وفخر، شعر بأنه أخيرًا انتصر على اللعبة، ألقى بالسيف أرضًا ومِن ثَم نظر إلى زياد بوجهٍ مبتهج راضٍ، وقال له بكل هدوء:

- أنا جاهز يا زياد بك..

هز زياد له رأسه مبتسمًا باكيًا متألمًا، وتتبع نظراته أعيرة نارية استقرت في جسد عبد التواب الذي سقط جثة هامدة بلا حراك.

صوت الأعيرة النارية كان مخيفًا حقًا، دم يخرج من جسد عبد التواب كصنبورٍ صدِئ لا يمكن غلقه، خمس رصاصات استقروا في جسده الضخم لتنتهي أسطورة هذا المتباهي المحب جدًا لنفسه، خمس رصاصات كانوا كفيلين بإنهاء قصة أكثر من أحبَّ الفوز في الحياة.

احتضن زياد حب حياته الوحيد سلمى بكل قوته كمَن يُخبئها من العالم بأسره، كم تبدو جميلة رغم وصولها إلى سن الخمسين، كانت



الدماء تملأ الغرفة بأكملها, الغرفة ذات اللون الأسود أصبحت تبدو وكأن بلدًا بأكملها ماتت بها, كل شيء تلطّخ باللون الأحمر, فيروز وعبد التواب أصبحا أشبه بمصفاة من كثرة الفتحات التي احتلّت أجسادهم, اصبحت غرفة اللعب أقرب إلى مقبرة تم نهش ساكنيها من قِبل حيوان مريع.

بدأت سلمى في البكاء, تنتفض وتصرخ في صمت, كالمشلول لا تسطيع التحرك ولا الكلام, بشتّى الطرق تحاول جاهدة أن تستوعب ما حدث للتو, كيف لزياد أن يُقدم على فعل كهذا؟ زياد حبيب العمر ورفيق الذكريات يفعل هذا؟ كيف؟ تعيد النظر مرة أخرى إلى هذا المشهد فلا ترى بأعينها سوى الموت, موت يبتسم لها ويضحك بسخرية, يحاول زياد أن يُطمئنها, إلا أنها تدفعه بعيدًا, أو على الأقل تحاول.

- ماتوا؟ كلهم ماتوا يا زياد؟!

- كان مستحيل أخليهم يكسبوا يا سلمى.. كان مستحيل أخلي حد ياخدك مني تاني.

لم تجد سلمى كلمات تقال, كل كلمات العالم لن تقارن بهذا المشهد المهيب, لم تجد مفرًا منه سواه, فارتمت في أحضانه تبكي بحرقة, تبكي كمَن لم يبكِ من قبل. دقائق قضتها في نحيبٍ مستمر حتى هدأت تمامًا والتفتت إلى زياد والذي كان ينظر إليها بعيونٍ حملت شرًا لم ترَ مثله أبدًا. أمسك بها ليسندها حتى جلست على أقرب كرسي منه وسألها بكل هدوء:

- تفتكري كان قدامي حل تاني؟ يا إحنا يا هما ..

- بس إحنا كدا برضو ما عملناش حاجة بموتهم.. اللعبة ليها فايز واحد بس يا زياد!

فابتسم زياد ونظر إليها بملامح أهدأ وأقل حدة وقال:



- تفتكري هسيبك تموتي يا سلمى؟ مبروك عليكِ الدور، ومبروك عليكِ بداية جديدة اتمنتيها من زمان.

- مستحيل أعمل فيك حاجة.. مستحيل أقتلك.. انت بتقول إيه!

- لو كان ليها حل تاني كنت عملته، صدقيني!

قام من مكانه مترنحًا ووضع أمامها المسدس الذي قتل به للتو أصدقاءه بيدٍ مُلطخة بالدماء، ليعود مرة أخرى ويجلس على المقعد المقابل لها. كان المشهد يشبه كثيرًا مباراة للروليت الروسية، إلا ان في تلك اللحظة أحد اللاعبين لم يكن ينتظر دوره ليُجرب حظة في إطلاق الرصاص، كان الرصاص بأكمله ملكًا لسلمى، وهو راضٍ بذلك تمامًا لا يهمه سوى فوزها بكل شيء.

- ما تعمليش زي ما أنا عملت زمان وتعيشي بذنب وحزن مالكيش إيد فيهم، انتِ محتاجة تعيشي حياتك بالشكل اللي تستاهليه، محتاجة ما تبُصيش ورا ضهرك وتتمتعي بعمرك، كفاية اللي راح.

- ليه مش مكتوب عليا أعيش معاك أي وقت من عمري؟ ليه الفراق دايمًا هو نصيبنا؟

ابتسم زياد وهو يحاول جاهدًا أن يداري دموعه:

- فاكرة وإحنا عيال يا سلمى، كنا تقريبًا مش بنفارق بعض، في الوقت اللي كل الناس بتحاول تعيش تجارب كتير أنا ما كنتش بتمنى غير إني أبقى معاكِ وبس، يمكن السنين اللي عِشناها زمان ساعدتني أعيش السنين اللي فاتت، كنتِ معايا كل يوم، ودلوقتي جِه الوقت إنك تبدأي من أول وجديد وتعيشي وتحبي.

- بس أنا مش عايزة غيرك.. لو لازم حد يموت يبقى نموت إحنا الاتنين يا زياد!

- أنا عملت كل اللي عملته عشان انتِ تعيشي، ما توجعيش قلبي



واسمعي كلامي من فضلك!

ثم قرّب المسدس إليها أكثر حتى لامس طرفه أصابعها المرتجفة، بدأ في هندمة ملابسه ومسح بيده على شعره، ونظر إليها مبتسمًا:

- أعتقد مافيش موتة هتبقى أحلى من الموت على إيدك!

ثم أكمل وهو يبتسم لها:

- وعشان خاطري، لو حد قالك في يوم تعالي نلعب لعبة قولي له لأ.

كان المسدس بين أناملها يرتجف من حركة يدها، تنوح بضعف وهي تشير بفوهة المسدس على حب حياتها، تدور في رأسها آلاف الأفكار.. ذكريات كثيرة تعود إلى رأسها وهي لا تستوعب كيف انتهى المطاف بهم هكذا، حب عمرها يطلب منها قتله، أصدقاء الطفولة أصبحوا جثثًا أمام أعينها، تشعر وكأنها في كابوسٍ لا مفر منه..

ماذا لو كانت قد تزوجت من زياد؟

ماذا لو كانت رفضت عرض عبد التواب؟

ماذا لو عاشت كل ما فات مع زياد؟

وقبل أن تطلق النار بلحظات سمعت من خارج الغرفة صوت تصفيق حاد، رأوا رجلًا يدلف إلى الغرفة، يرتدي ملابس بالية، لحيته تصل إلى صدره وشعره يبدو شديد القذارة، جلده مُتشقّق ومصاب بتورمات عديدة، اقترب منهم وهو ما زال يُصفق. بعدها قام بجذب أحد المقاعد وجلس على مقربة منهم، نظر إلى زياد وابتسم ليكشف عن أسنان سوداء لم تعرف الفرشاة طريقًا لها من قبل، وقال وهو يتمطّى في برود:

- بصراحة أنا لو مخرج كنت إديتكم جايزة على المشهد دا.. آداء صادق للغاية.. بس للأسف ما بقتش.

- انت مين؟ ودخلت هنا إزاي؟



ضحك الرجل وقال مقتربًا من زياد:

- أنا صاحب بيت, وبدخل وبخرج عادي.. الدور والباقي على الضيف اللي إيده كلها دم. كدا تموّت صحابك يا زياد يا ابن الأصول يا فنان؟

- انت بتشتغل هنا؟ بس عبد التواب ورانا كل اللي بيشتغلوا هنا!

- يا صديقي ركز.. بشتغل هنا إزاي وأنا بقولك إني صاحب بيت!

صوّبت سلمى فوهة المسدس إلى رأس الرجل والذي نظر إلها بطرف عينه وهو ما زال مبتسمًا وقال وهو يجذب من يدها السلاح بكل بساطة:

- هاتي بس البتاع دا بدل ما تتعوري. عيب لما تدخلي بيوت الناس وترفعي في وشهم سلاح.. دا انتِ حتى متربية يا سلمى!

انتفضت من مكانها عندما نطق اسمها, تتساءل مَن يكون هذا الغريب؟ قبض زياد على ملابس الرجل والذي بدا عليه الضيق مما فعل زياد, فابتسم له وأطلق على قدمه طلقة من المسدس, فابتعد عنه زياد على الفور وهو يصرخ في ألم.

- شوفت خليتني أعمل إيه؟ فكّر تلمسني تاني والطلقة اللي جاية هتبقى في دماغك.

- انت مين؟!

- عمرك ما كنت عصبي كدا! فيه راجل مزيكاتي وعازف بيانو مشهور زيك كدا يتعصب!

- دا واضح إنك عارفنا كويس ومذاكرنا كمان!

- أنا بقالي سنين كتير أوي مش بعمل أي حاجة غير إني بجمع أخبارك انت والسادة الجثث اللي حوالينا دول, وسنين أكتر مستني اليوم اللي هنتقابل فيه.



- إحنا بقالنا أيام كتير بنلعب فمش محتاجين أي لعب تاني ولا فوازير.. وعشان كدا هسألك تاني, انت مين؟

ابتسم الرجل وأخرج من جيبه صورة فوتوغرافية قديمة وناولها زياد, والذي صعق لرؤية الصورة, أشار الرجل لأحد الأطفال في الصورة, وقال:

- أنا اللي في النص دا.

- أيوب؟ يعني إيه؟!

***

كان أيوب يتيمًا, وكان والده بلا أقارب أيضًا, لا من قريب أو من بعيد, باستثناء جار قديم يدعى الأستاذ فوزي, كان والد أيوب يحبه ويثق فيه كثيرًا, ولما اشتد به المرض أعطى لفوزي كل ما يملك من مال وطلب منه أن يعتني بأيوب حتى تخرجه من الجامعة في مقابل أن يقتسم الثروة مع أيوب عند بلوغه سن الرشد, وافق الرجل وعاش معه أيوب لثلاث سنوات حتى أتت تلك الليلة المشؤومة, ولما طال اختفاء أيوب لأكثر من شهر ظن الرجل أن الشاب الصغير قد مات أو هرب, فقرر أن يأخذ كل أموال أيوب وإرثه ويرحل بعيدًا. لم يكن في مخيلة عم فوزي أن أيوب قد يكون حيًا يُرزق بعدما امتَد اختفاؤه لعام كامل, وقتها ارتكب أيوب جريمته الأولى.

بعد تلك الليلة, وبعدما قاموا بدفن أيوب, قام بنبش الطين بصعوبة حتى شعر أخيرًا بالهواء يصل إلى رئتيه, فاستجمع باقي قوته ليخرج كل جسده من تلك الحفرة, بعدها قام بالاختفاء لمدة شهر بأكمله داخل قبو منزل عائلة أباظة, والذي لم يكن يدخله أحد إلا نادرًا, باستثناء أحد الخَدم, والذي اكتشف في الليلة الثالثة وجود أيوب. شرع أيوب في البكاء وقام باستجداء الخادم ألا يخبر أحدًا عن وجوده, حكى للرجل قصته وأخبره ببساطة أنه يختبئ من الموت.



- والله أنا مش هعمل دوشة, وأنا أصلًا مش باكل كتير ومش هتحرك من مكاني أبدًا, بس ما تقولش لحد إني هنا والنبي!

تأثر الرجل لكلمات أيوب ولهيئته الضعيفة المرتعدة ووافق على بقائه في القبو, حتى أنه بدأ يحضر له الطعام كل يوم ولمدة عام بشكل مستمر.

- والله يا ابني أنا ما عارف انت مستخبي من إيه, بس انت صعبان عليا!

- كل اللي طالبه بس إني أفضل هنا.. ماليش أي طلبات.

- أمري لله.. هراعيك, بس لو في يوم لعبت بديلك أو طلعت حرامي هسجنك!

كان يحضر له ملابس نظيفة من غرفة عبد التواب, يحضر له ملاءات نظيفة وألحفة, بل إنه أيضًا كان يحضر له الكثير من الكتب والروايات لتؤنسه وحدته, ظل الحال هكذا لمدة عام بأكمله, حتى جاء صباح لم يأتِ الخادم لأيوب بالطعام مثل عادته, فظن أنه قد يكون مريضًا أو في إجازة, إلا أن القلق بدأ يعتصر قلب أيوب عندما طال غياب الرجل لخمسة أيام متتالية, فقرر أن يخرج من القبو أخيرًا بعد عام كامل.

قرر أن يعود إلى منزله, إلا أنه عند عودته لم يجد فوزي بانتظاره, بل أخبره مالك الشقة أنه اشترى الشقة من فوزي منذ عدة أشهر. ظل يبحث عن مسكنه الجديد حتى عثر عليه أخيرًا, ولمفاجأته أخبره فوزي بأنه لا يعرفه وأنه إن لم يرحل سيتصل بالشرطة.

- أنا عايز فلوس أبويا يا عم فوزي!

- وأنا بقولك مالكش حاجة عندي, وشوف هتعرف تعمل إيه واعمله!

شعر وقتها أيوب بغضب شديد ليقوم بجذب تمثال من الرخام وضعه



فوزي أمام منزله, وانهال على رأس الرجل حتى هشمها لقطع صغيرة. دخل بعدها إلى المنزل وأخذ كل ما وجد من مال, ليختفي تمامًا بعدها في إحدى الغرف فوق سطح إحدى العمارات القديمة, وظل يتابع أخبار الجميع من بعيد, حتى علم بعد خمس سنوات بوفاة عائلة عبد التواب في حادث سيارة, وأنه سينتقل مع عروسه إلى قصر جديدة في منطقة نائية.

بدأ أيوب في مراقبة عبد التواب حتى علم بمكان قصره الجديد, وعلم أيضًا بأنه لن يبيع القصر القديم, القصر الذي دفنوا في حديقته أيوب, فقرر أن ينتقل إلى القصر القديم والذي أصبح مهجورًا بعد رحيل كل ساكنيه, أصبح يعيش كأهل الكهف, يكتفي بالشمع بدلًا من الكهرباء, ويخزن الماء من المنفذ الوحيد الذي ظل يعمل, ألا وهو خرطوم الحديقة. حاول جاهدًا أن يظل في الخفاء حتى الوقت المناسب.

***

- مستغرب إني عايش يا زياد؟

- الكارت بتاعك قال... وبعدين أنا...

- انت دفنتني بإيدك, أنا عارف.. وعارف إن الكارت كان مكتوب فيه «مُلك لن يدوم», بس كان برضو مكتوب كلام تاني ما أخدتش بالي منه إلا لما خرجت..

- أرجوك فهمني عشان أنا فعلًا هيجرا لي حاجة! أنا مش مستوعب ولا فاهم! انت فاهم يعني إيه أعيش ٣٠ سنة فاهم إنك ميت!

اعتدل أيوب في جلسته وبدأ في الحكي:

- حسيت بخوف من اللعبة, حطيت الورقة في جيبي وقومت عشان أمشي, بس فجأة حسيت إن زي ما تكون فيه إيد بتخنقني. أعتقد



بعدها إني مت.. بس موت مؤقت.. فوقت بعد شوية لقيت نفسي متغطي بطين وتراب.. كنت مش عارف أتنفس, وفضلت أحفر بكل قوتي زي المجنون.. عظيم الأدرينالين دا, بيخليك تعمل معجزات وانت مش حاسس. أول ما طلّعت راسي من الحفرة هديت وبدأت أتنفس بشكل أحسن, دوّرت عليكم بس ما لقتش حد منكم, مديت إيدي في جيبي لقيت الكارت, واللي كان مكتوب عليه «ملك لن يدوم طويلًا ولكن سينقذك الليلة», فهمت إن اللعبة بتديني حاجة أشبَه بحياة تانية أو فرصة تانية, نطيت لجوا بيت عبد التواب ورجعت الأوضة اللي كنا بنلعب فيها, ما لقتش غير صباع مقطوع ودم, أول حاجة جت في بالي إني أدخل استخبى في البدروم بتاعهم, اللي كنا بنلعب فيه زمان استغماية وإحنا عيال, كنت بسمع كل حاجة بتدور في أوضة عبد التواب من غير ما يعرف إني عايش, عرفت موضوع تأجيل اللعب وعرفت إنه حاول يوصل لكل واحد فيكم بس ما حدش كان قادر يسامح.

- وفضلت مستخبي قد إيه؟ عملت إيه في تلاتين سنة من عمرك؟

- تلاتين سنة عايش زي الفار, بستخبى لما بسمع نفس, بقيت مش بعرف أعيش غير في الضلمة يا زياد, عشت سنين في بيت عبد التواب القديم, ولما اتجوز سلمى عرفت أدخل البدروم اللي هنا ونقلت حياتي هنا برضو من غير ما يحس, تلاتين سنة وأنا عايش زي الطفيليات, العائل بتاعي هو عبد التواب, بيأكلني ويشربني من غير ما يعرف, كنت بعرف أتصرف, السنين اللي عشتها في البدروم خلتني أكتسب مهارات عظيمة, زي قوة السمع وقوة النظر في الضلمة.. أنا بقيت جزء من الضلمة يا زياد..

- كان أهون تعيش وتواجه وتلعب على إنك تعيش زيك زي الميت, يا أخي كنت حتى عرّفتني إنك عايش بدل ما أنا عايش سنين بالذنب, خسرت روحي وخسرت سلمى عشان عايش بذنبك!



- ما تخافش يا زياد.. أوعدك إنك مش هتحس تاني بالذنب.. ولا بأي حاجة.

- يعني إيه؟

- يعني دا الوقت اللي دورك بيخلص فيه.

أنهى أيوب جملته وأطلق رصاصة استقرّت في قلب زياد, زياد الذي لم يهنأ بشيء حتى الثمالة منذ أن دفن أيوب, زياد الذي خسر حب حياته وضحى بها مرتين فقط لإحساسه بأنه خذل صديقًا كان قد بقيَ على قيد الحياة لولا تلك الليلة. صرخت سلمى والتي هرولت من مقعدها محتضنة زياد وهي تبكي في قهرٍ وألم, أكثر لحظة في عمرها كانت بهذا القرب من زياد كانت لحظة موته.

- زياد.. ما تسيبنيش يا زياد عشان خاطري.. أنا آسفة.. والله أنا آسفة!

احتضنته بكل قوتها وهي تعتصر جسده وتعتصر معه آلام سنوات عاشتها كعبدة مجبورة على رغبات عبد التواب, سنوات يضاجعها رجل تمقته, سنوات تتخيل نفسها مع زياد في كل مرة اقترب منها زوجها, مرات كثيرة ألجمت لسانها قبل أن ينطق اسم زياد بدلًا من اسم عبد التواب, سنوات طويلة وهي تصر دومًا على السفر في كل إجازة إلى باريس لعلها تراه مرة أخرى. في إحدى السفريات منذ ما يقرب من عشر سنوات, سافرت إلى باريس وعرفت من أحد اصدقائها الموسيقيين عن المكان الذي يعزف فيه زياد موسيقاه, ذهبت وجلست وسط الحضور تستمع إلى عزف حب عمرها, كان يعزف موسيقى حزينة تشبه روحها المعذبة, خدعتهم السنوات ففرقتهم, خدعهم الشعور بالذنب الزائف.

خرجت سلمى تلك الليلة من الحفل وهي تحترق كمَن يحمل فؤادًا من جمر, أخبرت نفسها بأنه لن يكون لها أبدًا, ولكن لا بأس بوداعٍ



ستبقى ذاكرة موسيقاه تُعزف في أذنيها حتى موتها.

نظرت سلمى إلى أيوب وهي تنتحب، والذي كان جالسًا بلا تعبير أو حركة وكأنه لم يقتل زياد منذ لحظات قليلة، حاولت طعنه بسكين الطعام إلا أنه كان أسرع منها، فلم يطله من نصل السكين سوى جرح في كفه، أمسك برقبتها يضغط عليها بقوة وهو يهمس في أُذنيها:

- مستعجلة موتك يا سلمى؟ دي الطريقة اللي بتستقبلي بيها صاحب عمرك بعد كل السنين دي؟

- ما شوفتش في وساختك.. كلهم لعبوا بشرف، بس انت اخترت تعيش في جحر كل السنين دي، عارف افتكرت إيه؟ افتكرت زمان لما كنا بنلعب استغماية وكنت بتفضل واقف جنب الأومة عشان ما حدش يمسكك، طول عمرك جبان.

- لما تعيشي تلاتين سنة في حضرة الموت لازم تبقي جبانة، أنا كنت بشم الموت في كل نفس باخده، بعيش في كوابيس وأنا صاحي وأنا نايم.. عايش ميت لوحدي لأني لازم أفضل في نظر الكل ميت.

- ومستني إيه؟ ما تقتلني يلا! جِه الوقت اللي تجرب طعم المكسب كتغيير وتعيش اللي فاتك من حياتك.

- ما تستعجليش موتك يا سلمى.. أنا بقالي تلاتين سنة بكلم الحيطان والخشب.. شيء لطيف إني أتكلم مع صديقة قديمة كنوع من التغيير.

- وهتعمل إيه بقى بعد ما تقتلني؟ احكي لي!

- أنا هبدأ حياتي وانا عندي خمسين سنة، يعني فيه حاجات كتير فاتتني ومش هعرف أعملها، كل اللي بتمناه دلوقتي هو إني أعيش.. أعيش وخلاص.

اقتربت سلمى من أيوب تنظر إليه بشفقة، ربتت على كتفه في حنان



فانسالت دمعة من عينه في صمت, عادت مرة أخرى إلى مقعدها وقالت مبتسمة:

- رغم كل حاجة.. بس أنا من قلبي مبسوطة إنك عايش..

جذبها نحوه وشرع في تقبيلها كالمجنون, إنها المرة الأولى في حياته القميئة التي ينفرد فيها بامرأة, لثوانٍ كانت سلمى غير مستوعبة لما يحدث, كان المشهد غريبًا حقًا, غرفة مليئة بالجثث ملطخة بأكملها بالدم وهي واقفة في منتصف الغرفة يتم تقبيلها على يد هذا المعتوه, دفعته بعيدًا عنها في غضب وقالت:

- إيه اللي انت بتعمله دا؟!

- معلش يا سلمى.. أعذريني!

- أعذرني انت.. ورايا ميعاد مهم اتأخرت عليه سنين.. ومبروك عليك اللعبة واللعنة..

أمسكت بسيف عبد التواب ونحرت رقبتها لتسقط جثة هامدة في ثوانٍ.

بدأ أيوب في الرقص بالغرفة كالمخبول, يجري يمينًا ويسارًا, خلع ملابسه بأكملها وبدأ يجري في أرجاء القصر وهو يحمل في يده المسدس, يطلق النار على كل من يقابله من خدام بالقصر, حتى تحول المكان بأكمله إلى مقبرة جماعية عملاقة. دلف إلى غرفة عبد التواب وارتدى حُلة فاخرة بدت عليه أقرب إلى الجلباب لضآلة حجمه, بعدها اتجه إلى علبة السيجار وأشعل واحدة وشرع يدخنها في تلذذ.

توقفت حياته وهو بعمر العشرين تقريبًا, وها هو الآن هذا الرجل الخمسيني الذي يتحرك في المنزل كمراهق يكتشف الحياة. دلف إلى المطبخ وبدأ في تناول كل ما طالته يده من أطعمة في سعادة, وبعدما فرغ من وجبته اقترب من جثة عبد التواب وبدأ في تفتيش جيوبه حتى



عثر على ضالته المنشودة، شيك كتب عليه يصرف مبلغ ثلاثة مائة مليون جنيه لحامله، قفز في سعادة وهو يحمل الشيك بين أصابعه.

- صبرك ما طلعش بلّوشي يا أيوب.. صبرك طلع بتلتوميت مليون!

نظر أيوب إلى جثة عبد التواب وقال:

- طبعًا التلتومية دول نقطة في بحرك يا معفن.. بس حلوين برضو، أنا مش طماع.

وضع الشيك في جيبه وبدأ بصب زجاجات البنزين في كل أرجاء القصر والتي كان قد خبّأها منذ مدة في القبو ليستخدمهم في الوقت المناسب، استطاع كل فترة أن يسرق بعض لترات البنزين من سيارات القصر ويخزنهم في مملكته الخاصة، القبو. كان يدندن وهو يستعد لإحراق القصر كمَن يُزين شجرة عيد الميلاد، يغني بصوتٍ عالٍ ويتراقص هنا وهناك، وبعد أن تأكد من أن البنزين احتلّ كل شبر من القصر أضرَم النيران فيها وهو ينظر إليه، والنيران تصل إلى السماء في دهشة وانبهار .

مشى أيوب عدة كيلومترات حتى وصل إلى الشارع الرئيسي، كان الوقت قبيل الفجر والشوارع خالية تمامًا من أشكال الحياة، ظلّ واقفًا لساعةٍ حتى رأى سيارة نقل ضخمة، فأشار لسائقها والذي ناوله حفنة من الأوراق المالية كان قد سرقها من جيوب أصدقائه، ليأخذه السائق المبتهج إلى المدينة.

- إيه يا عم اللي مبهدلك كدا؟

- خد بس دول وخدني معاك أي حتة عمار.

- تسلم يا كبير.. يا باشا دا أنا أوديك اليونان كمان..

وصل أيوب إلى المدينة ليلًا، اتجه إلى أحد متاجر الملابس وابتاع ملابس نظيفة، وبعدها دلف إلى أول مطعم قابله في طريقه، وبدأ يأكل



كالمسعور وهو يبكي في سعادة، سعادة لم يعرفها أو يعهدها يومًا.

تمامًا مثلما يجد الأشخاص في القصص الخيالية المصباح السحري ويطلبون قبل أي شيء أموالًا وقصورًا، أول ما فعله أيوب بجائزته هو أنه ابتاع فيلا في إحدى المناطق الراقية، جرب أخيرًا أن ينام على فراش، يأكل بنَهَم لا ينقطع وبشهية لا تعرف للشمالة طريق، يقضي أيام الأسبوع ما بين شراء أشياء يكتشفها لأول مرة وبين مضاجعة كل ما تطوله يده من نساء، يعيش كطفل مُدلل لا يعرف للرفض طريقًا، إلا أنه أيضًا لم ينسَ رفقاء الرحلة، أرسل إلى شيماء أرملة نصر حقيبة ذات صباح إلى شقتها تحتوي على مليون جنيه، كانت كفيلة بتغيير حياتها تمامًا. وأرسل أيضًا إلى عائلة ضياء مبلغًا كبيرًا، وبدأ بالتفكير في بيزنس، ولمدة خمس سنوات عاش أيوب كملك بلا مملكة، يفعل ما يشاء وقتما يشاء، إلا أنه لم يتذكر أصدقاءه يومًا، وقام بوضع صورة فوتوغرافية قديمة لهم في قصره، حتى أتت ليلة دق فيها باب منزله ..

فتح أيوب الباب ليجد رجلًا في عقده الثالث، يرتدي حلة شديدة الأناقة وفي يده حقيبة ضخمة، يبتسم له:

- مساء الخير أيوب باشا!

- أي خدمة؟ مين حضرتك؟

- أنا مندوب الـ...

قاطعه أيوب وشرع في إغلاق الباب وهو يشكره، إلا أن الرجل أمسك بالباب ليمنعه من قفله وقال بنبرة أقوى:

- أنا مش مندوب مبيعات يا أيوب باشا.. أنا مندوب اللعبة.

- لعبة إيه يا ابني؟ انت جاي في نص الليل تهرج؟ أنا ممكن أندهلك الأمن فورًا!

- أعتقد إن مافيش أي داعي لأي شوشرة، أنا مندوب ارا.. اللعبة.



بدأ أيوب في الاستيعاب تدريجيًا لما يقوله المندوب، فدعاه للدخول وهو يحاول أن يستيقظ من صدمته، دلفا سويًا إلى الفيلا وبدأ المندوب كلامه فور جلوسه:

- أولًا، بعتذر إني جاي لحضرتك في وقت متأخر، بس السرية عندنا دايمًا مطلوبة.

- وثانيًا؟

- كل فائز في اللعبة بيبقى له جايزة.. أمنية اللعبة بتحققها له، بعد ما حضرتك كسبت مشيت على طول وما لحقناش حتى نديلك جايزتك، بس دلوقتي لقيناك وجايين نحققلك أي أمنية بتتمناها.

استند أيوب برأسه على المقعد، وبدأ يفكر فيما يريد وماذا يتمنى، إلا أنه لم يجد شيئًا لم يحققه بعد، ولكن أليس الطمع فطرة بشرية؟ لمعت عين أيوب وقال للرجل في خبث:

- تقدر تديني مليار دولار؟

أخرج الرجل من إحدى أركان حقيبته جهاز لاب توب صغير، فتحه وبدأ في النقر لدقائق على مفاتيحه وبعدها ابتسم لأيوب وقال له:

- المبلغ اللي حضرتك طلبته موجود دلوقتي في حساب باسمك في London west bank

- عايز تقنعني إنك عفريت المصباح بجد؟

رن هاتف أيوب بإشعار على هاتفه ليجد بالفعل رسالة تأكيد على وصول المبلغ إلى حسابه بالبنك في لندن، فضحك ببلاهة وشكر المندوب:

- لا دا انت تتعشى مع عمك أيوب بقى!

- شكرًا ليك يا فندم، بس وقتي ما يسمحش.. أنا كنت جاي أسلمك



جايزتك وأسلمك الشنطة دي..

- وكمان جايب لي هدية. والله أنتم ناس محترمين..

فتح أيوب الحقيبة في سعادة, إلا أن ابتسامته تبدّلت فور أن رأى محتواها, صندوق أسود صغير يعرفه جيدًا, إنها اللعبة! كيف لها أن تكون هنا أمامه وهي كانت في القصر تحترق مع جثث الأصدقاء! ذكريات تلك الليلة عادت إلى رأسه سريعًا, بعدها نظر إلى المندوب وهو يبتلع ريقه بصعوبة متسائلًا:

- الدور خلص من سنين.. أنا مش عايز ألعب تاني!

- الدور خلص... بس دورك انت لسه ما خلصش يا أيوب!



أكادير - المغرب - ١٩٧٧ م.



شكر أباظة السيدة المغربية على هديتها وهمَّ بالرحيل، إلا أنها استوقفته والغضب يتطاير من عينيها وقالت:

- هتمشي خلاص كدا يا أباظة؟

نظر حوله ليتأكد أنه لا أحد يراهم، فقال بصوت منخفض:

- مش اتفقنا أتعامل كأني زبون يا مهيرة؟

- بدلت الرأي ديالي..

- عايزة إيه؟! مش خلاص إديتيني اللعبة! عندي ميعاد طيارة!

إلا أنها أمسكت بيده في حنان وقالت:

- اش كتقصد؟ مش عايز تقعد معايا؟

- مهيرة، انتِ عارفة وأنا عارف إني ما بقتش مهم عندك.. انتِ كلمتيني بس عشان اللعبة.. بلاش تحسيسيني إنك في يوم حبتيني!

تنهدت السيدة وقالت:

- كنبغيك بزاف أباظة.. لكن ما عرفتش اش ندير!



- مش مهم, المهم إن دلوقتي اللعبة معايا, وأنا اللي هحافظ عليها لحد ما تاخدها مجموعة جديدة.. كدا انتِ في أمان يا مهيرة, ما تخافيش!

- أباظة.. شكرًا حيت جيتي..

- ما عنديش أغلى منك.. انتِ حب حياتي رغم كل حاجة يا مهيرة.

- مقدرة تضحيتك والمخاطر.. شكرًا بزاف!

ثم احتضنته حِضنًا طويلًا, ودعته بقُبلة افتقدها لسنوات, ليرحل بعدها في سيارته مبتعدًا نحو المطار وهي تنظر إلى سيارته المغادرة في ارتياح.

منذ سنوات طويلة, لعبت مهيرة ارا, وفازت في النهاية لتصبح بعدها مُكلفة بالحفاظ على اللعبة حتى تهديها إلى لاعب جديد يبدأ دورًا جديدًا مع مجموعة جديدة. ليستكملوا سلسلة الدم التي لا تنقطع منذ زمن سحيق, حاولت كثيرًا أن تتخلص من اللعبة, إلا أنها لم تستطع, فكان الحل أن تُهديها إلى شخص, ولما حكت لحُب الطفولة أباظة قصتها لم يتردد لحظة عن مساعدتها, سافر إلى المغرب وهو أمام أنظار الجميع ذاهب من أجل مؤتمر طبي, إلا أنه في الواقع كان ينقل لعنة إلى منزله, كانت نهايتها شديدة البشاعة.

كان أباظة أنانيًا مُغيبًا, احتفظ باللعبة لسنوات حتى أهداها إلى ابنه ذات يوم في يوم ميلاده, أخبره وقتها أنها لعبة قديمة مسحورة ستغير حياته. لم يكذب يومًا مَن قال أن الحب أعمى, أباظة لم يتردد لحظة من تدمير حياة ابنه فقط ليحافظ على مهيرة سالمة من كل الشرور, أخطاء تصلحها أخطاء, ودائرة من الدم لا تنقطع ولا يعرف لقطعها طريق.

رحل المندوب من منزل أيوب ليتركه في حيرةٍ وخوف, هو الآن مكلف من قبل اللعبة أن يبدأ دورًا جديدًا, أو أن يهدي اللعبة إلى



شخص ما يبدأها هو كما فعلت مهيرة مع أباظة في الماضي, إلا أن حظ عبد التواب العثر جعله هو من يبدأ اللعبة لا والده. تبددت السعادة في قلبه سريعًا وهو يجلس وأمامه هذ الصندوق اللعين مرة أخرى, سنوات تمر وهو لا يجد حلًا, لا يقوى حتى على فتح اللعبة ولا يقوى أن يهديها لأحد فتغرق يده مرة أخرى بالدماء.

عشرون سنة تقريبًا مرّت وهو يحيا في تعاسةٍ وتفكير لا ينقطع, يعيش مرة أخرى مع رفيقه الأقرب, الموت. يشعر دومًا بأنفاسٍ تلاحقه, يشعر دومًا بأرواحٍ تُراقبه لتفتك به في الوقت المناسب, ولا يجد حلًا, حتى داهمته فكرة في يوم من الأيام, فكرة مخيفة ستنهي حياته بلا شك, إلا أنها أيضًا ستُنهي بؤسه ورعبه الذي يعيش فيه ليل ونهار.

توصّل أيوب إلى رجلٍ يدعى (سيد ناموسة), بلطجي شهير ومعروف عنه بأنه رجل المهام الصعبة والقذرة, طلب منه الحضور وأن يُحضِر معه مَن يساعده في تلك المهمة العجيبة, كان طلب أيوب ببساطة أن يفتحوا معدته ويضعوا بداخلها اللعبة, ثم يلقوا بجسده وبداخله اللعبة في قاع النيل, وفي المقابل سيحصلا على عشرين مليون جنيه.

- اللي طلبتوه أخدتوه, وشوية زيادة.. وقت الجد بتقلبوا عيال؟

- عيال مين يا باشا؟ انت شكلك مش عارف سمعتنا في السوق!

- لا سمعتكم الوسخة عارفها كويس.. عشان كدا كلمتكم انتم بالذات.

- دا من ذوق معاليك يا باشا.. طب نزود المبلغ حبتين طيب؟ أصل سعادتك برضك الطلب مش سهل, إحنا آه لينا في الشمال بس لا مؤاخذة مش أقصاه يعني سرقة ونصب على بلطجة وعشان كمان السين والجيم بعد الشر.

- لا هيبقى فيه لا سين ولا جيم ولا أي حرف تاني حتى. وبعدين



تخيلوا تنولوا شرف إنكم تبقوا ملايكة الموت! صدقوني حياتكم كلها بتتغير بعد ما بتقتلوا روح.

بعد تفكير طويل, وافق الرجلان على المهمة الغريبة, وبالفعل تم التنفيذ, ليستقر جسد أيوب في قاع النيل, أيوب الذي عاش طويلًا في الظلام يحاول جاهدًا أن يهرب من الموت, اختار في النهاية الموت, رأى أن الموت راحة من كل هذا العذاب, رأى أن الموت أهون من حياةٍ زائفة ستطولها اللعنة مهما طال الوقت.

كيف لإنسانٍ أن يهرب من الموت إلى الموت؟!



سيوة – ٢٠٤٠ م..



دلف رجلان يحملان صندوقًا ضخمًا إلى معبد التنبؤات في منتصف الليل, حيث كان في انتظارهم رجلٌ عجوز يفترش الأرض, وفي يده كوب من الشاي الأخضر, انحنى الرجلان له في خشوع ووضعا الصندوق أمامه, فقال وهو يرتشف بعض الشاي في تلذذ:

- كنت هزعل أوي لو رجعتم بإيدكم فاضية.

- مستحيل نخيب أملك فينا يا كبير.

- اللي حصل دا ما يتكررش تاني! مولانا لو سمع إن اللعبة وقفت تاني كلنا هنموت.. لولا إننا مش عايزين نعمل شوشرة كنا اتصرفنا من زمان.

- أوامرك, وأوامر مولانا يا كبير..

فتح الرجلان الصندوق, والذي كان يحمل بداخله جثة أيوب المتحللة وداخل عظامه استقرَّ صندوق اللعبة الأسود بلا أي تغيير في لونه أو شكله, وضعوا اللعبة بين يد العجوز وانحنوا له مرة أخرى ورحلوا .

أخذ اللعبة بين يده في تبجيل, ودلف إلى غرفة متناهية الصغر بالمعبد أضاء مصباحٌ صغيرٌ جوانبها, وفي منتصف الغرفة جلس رجل



بجلباب مغربي أسود، يرتدي قناعًا أسود لم يكشف سوى عينيه..

ناوله العجوز العلبة في احترام وقال:

- أوامرك يا مولانا!

- الأوامر معروفة من زمان يا دياب، من أيام جدنا أبو اللهيم، والأوامر بتقول إن صندوق اللعبة لازم يفضل يروح من مجموعة للتانية، كل ما روح منهم بتموت أبو اللهيم بيبقى أقوى، وبنبقى مستعدين أكتر للمرحلة اللي جاية. الإنسان طول عمره طماع، عشان كدا عمرنا ما رجعنا خطوة لورا، طول ما الإنسان بيبجّل الموت وبيعمله ألف حساب مش هنخسر، وطول ما إحنا بنخلي عينهم تلمع بالوعود والأمنيات هنحصد أكبر عدد من الأرواح، وأرواح البشر في النهاية كلها هتبقى ملكنا..

- لو كنا بنمتلك أكتر من لعبة كنا هنبقى بنحقق هدفنا أسرع!

- للأسف أبو اللهيم ما لحقش يعمل غير علبة واحدة بس، كل السحر الأسود اللي اتعلّمه وكل الجن اللي سخرهم ما لحقش ينفذ بيهم غير العلبة دي، وعشان كدا لازم الخطوة اللي جاية تبقى محسوبة، خلي الأحكام دموية أكتر، خلي كل واحد بيلعب يفقد آدميته قبل ما يفقد روحه، وقريب جدًا هنمتلك كل شيء زي ما إحنا مخططين. طول ما الإنسان بيلعب وهو في حضرة الموت هيلعب وهو خايف وهيخسر أسرع.. فهمت يا دياب؟

- مفهوم يا مولانا... أوعدك مش هخيب ظنك أبدًا.

- انت ما ينفعش تخيب ظني يا دياب.. مش عايزك تحصل اللي راحوا قبلك!

قبّل دياب العجوز يد من يسمونه مولانا ورحل وهو يحمل في يده اللعبة كمَن يحمل روحه بين يديه. أسابيع من البحث عن لاعبين



مناسبين أسفرت عن إيجاده لضالته المنشودة, مجموعة أصدقاء منذ سنوات طويلة, في مقتبل العمر, يكتشفون الحياة بفضول وشغف.

وضع أمام منزل أحدهم اللعبة واختفى, ليستيقظ صاحب المنزل في صباح اليوم التالي على اللعبة ذات الغلاف الأسود والرسومات العجيبة, ظل يُقلب الأوراق في يده يمينًا ويسارًا كمَن يرتب أوراق الكوتشينة, جلس على مقعد بمنزله وهو يحك مؤخرة رأسه, ثم أخرج هاتفه ليصور اللعبة ويبعثها لأصدقائه على جروب الواتساب الخاص بهم, لتبدأ التساؤلات من الجميع عن ماهية تلك العلبة, ليجيبهم بسؤال بسيط:

- " أنا لقيت اللعبة دي.. تيجوا نلعب؟! ".



القاهرة - ٢٠٤١ م



في أحد القصور القاهرية الشهيرة, والذي تم هجره منذ عقود طويلة، أتى ضوء خافت ينبعث من داخل أرجائه، مداخل القصر محكمة الإغلاق، إما البهو فكان ممتلئًا عن آخره بأشخاصٍ يجلسون في دوائر، جميعهم يرتدون اللون الأسود بلا استثناء، الرجال منهم يرتدون حلَّة سوداء, أما النساء فكانوا يرتدون فساتين سوداء طويلة، والمشترك بينهم كانت تلك الأقنعة السوداء التي غطت ملامح وجوههم بالكامل.

في أحد أركان البهو, استقرَّ رجلٌ يرتدي جلبابًا مغربيًا أسود، وقناع اختلف في شكله عن الآخرين، يجلس على مقعدٍ ضخم أشبَه بعروش الملوك قديمًا، أسفل قدميه استقرَّ كلبٌ من فصيلة الباندوج مغمض العينين، كان جميع مَن في البهو يُنشدون جملًا بلهجةٍ غريبة غير مألوفة, والرجل ذو الجلباب يتابعهم في هدوء واهتمام.

اقتحم هذا الاحتفال العجيب (دياب), يحمل بين يديه صندوق اللعبة في تبجيل، اقترب من صاحب العرش بخطوات مُهتزّة تحمل الكثير من الخوف والخضوع, حتى أصبح أمامه تمامًا.

- زي ما وعدتك يا مولانا.. الدور خلص في وقت استثنائي



ومستعدين لبداية دور جديد.

- أحسنت يا دياب.. كل ما بنكون أسرع كل ما بنقرب للهدف.

تهلّلت أسارير دياب فور سماعه كلمات الشكر من سيده, فقال مبتسمًا:

- دياب فداك يا مولانا.. أي شيء يقرّبنا لهدفنا أسرع أنا عمري ما هتأخر عليه أبدًا.

- مستعد تقدم جزء من جسدك لأجل المصلحة الأعظم؟

ابتلع دياب ريقه بصعوبة, ثم قال والعرق يتصبب من جبينه:

- كلي ملك المصلحة يا مولانا!

فأشار ذو الجلباب إلى كلبه الضخم بحركةٍ من يده وقال:

- دووم.. رجله..

انتفض الكلب من مجلسه, وفي ثوانٍ كان يلتهم القدم اليمنى لدياب الذي سقط أرضًا وهو يصرخ في ألم, والدماء تسيل من قدميه بلا رحمة بينما يستمع إلى صوت عظامه تتهشّم بين فكّي هذا الوحش. ينظر إليه فيراه يمضغ لحم قدميه في تلذذ, وذو الجلباب يشاهد هذا المشهد السادي بلا أي رد فعل. وقبل أن يبدأ دووم في القدم الأخرى أشار إليه السيد فجلس مكانه مرة في هدوء.

حاول دياب أن يقاوم نحيبه وهو يتساءل بفمٍ يسيل منه اللعاب:

- ليه يا مولانا؟ دا أنا خدّامك!

- كنت محتاج أتأكد من ولائك يا دياب, لو كنت رفضت تبقى قربان كان زمان دووم دلوقتي بيحلى بجمجمتك.

فهز رأسه في صمت.



قام ذو الجلباب وربَّت على كتف دياب قبل أن يشير إلى بعض رجاله أن يساعدوه، ثم قال له وهو يبتعد للعلاج:

- الخطوة اللي جاية لازم تبقى أسرع.. وتشمل عدد أكبر.

- أوامرك يا مولانا.. أوامرك.

عاد إلى مقعده مرة أخرى ليشاهد الطقوس, والتي يطلقون عليها "طقوس الموت"، أمسك كأسًا يحتوي على سائل أحمر ورفعه إلى الهواء وقال بصوت أجَش:

- أهلًا بكم في حضرة مولانا.. أهلًا بكم في حضرة الموت!

كانت الجملة كفيلة بإعلاء روح الحماسة بداخلهم, فاستكملوا طقوسهم بكل ما أوتوا من قوة وعزم.

في إحدى الدوائر بالصف الأخير, وقف شخصٌ بدا على جسده الوهن والضعف, يرتدي حلة سوداء, يفعل كما يفعل الباقون، يُقلدهم في حركاتهم وإنشادهم كي يبدوا واحدًا منهم، يقلدهم تمامًا حتى لا ينفضح أمره وتنكشف حقيقة هويته.

تمت بحمد الله.



عن الكاتب:

- كاتب مصري من مواليد الإسكندرية.
- تخرج في كلية الإعلام, قسم الإذاعة والتلفزيون.
- صدر له ٦ روايات.
- يعمل في مجال التسويق والإعلانات.
- كتب عدة برامج, منها "كراكيب – المخبر - حواديت نص الليل".
- تصدرت روايته (كوابيس قبل النوم) قائمة الأكثر مبيعًا في مكتبات (فيرجن).
- يقدم برنامجًا إذاعيًا: "حواديت نص الليل" - ٣ مواسم.
- تم محاورته على إذاعة (إنرجي الفرنسية), كواحد من الشخصيات الملهمة في جيل الشباب.



صدر للكاتب :

- رواية: حنين اضطراري – ٢٠١٧.
- رواية: آخر أيام آدم - ٢٠١٨.
- رواية: زي كل سنة – ٢٠١٩.
- رواية: كوابيس قبل النوم – ٢٠٢٠.
- رواية: كوابيس قبل النوم ٢ – ٢٠٢١.

